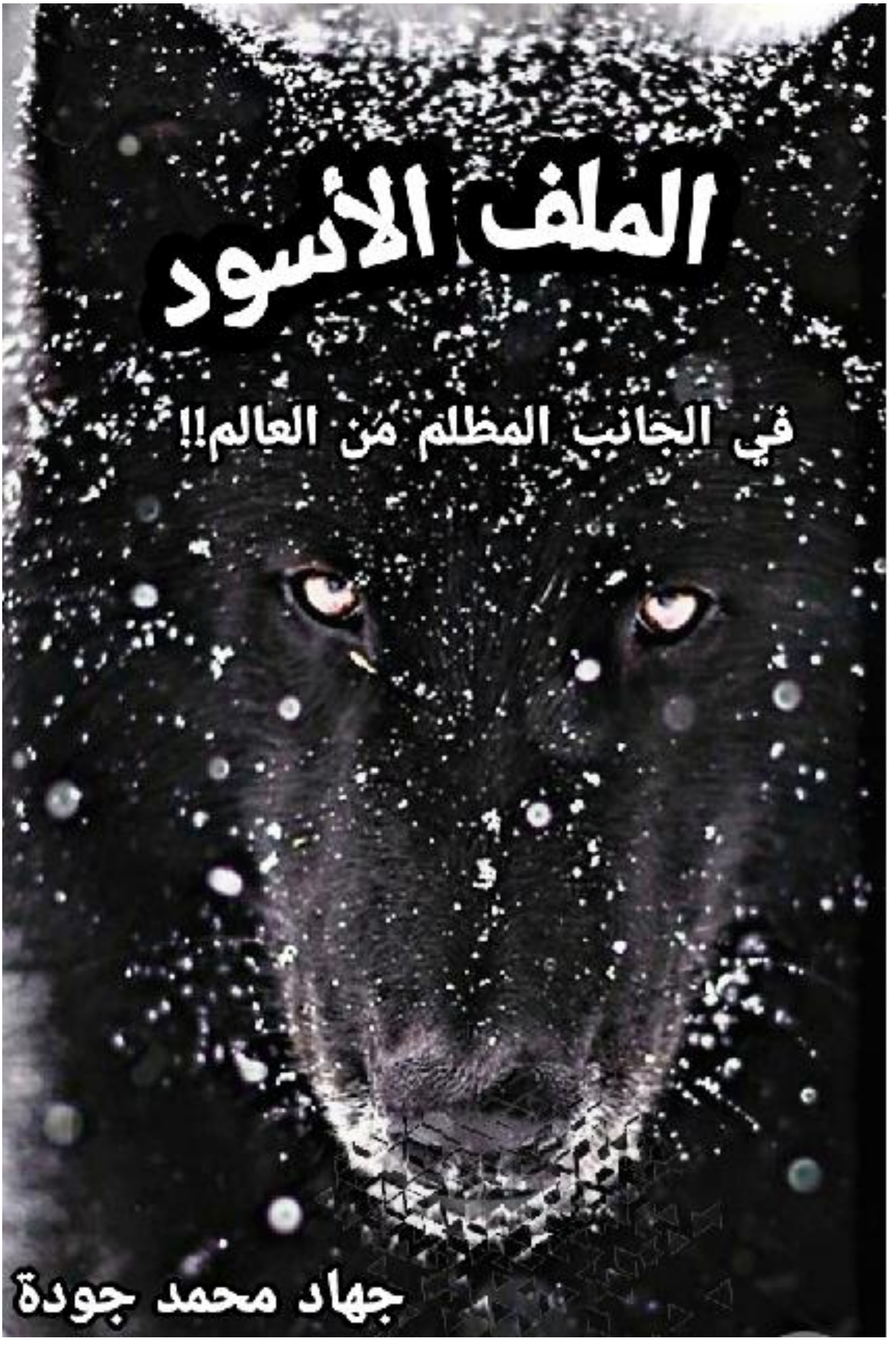
الملف الأسود
في الجانب المظلم من العالم!!
جهاد محمد جودة

الملف الأسود

اهداء...

إلى كل من لازال يحتفظ بشيء دافئ بداخله رغم صقيع الأيام ...

لكل من مضى يتشبث بمبادئه في زمن خسر الكثير فيه أنفسهم .....

لكل من أراد يوما أن يساهم في القضاء على عتمة العالم ...بنقاء قلبه الذي لم يُدركه الظلام بعد...!

في إحدى المدن شاهقة المباني ....كثيفة السكان ... وكأي دولة تتدعي مثالتيها ....وتحقيقها لكل حقوق الانسانية والوفاء للجنس البشري !...

تلمستُ ببنان مرتجفة جسد تلك الصغيرة ....لأشهق باكية وقلبي يئن بين أضلعي بألم! ... أرى ابتسامة تلك الصغيرة وجسدها الذي كاد يختفي بين أحضان ثلوج الشتاء وقسوة برودته التي لا تختلف كثيرا عن قسوة ما عايشته ...

قسوة كل من ترك "عنان "...!

.تركت لدنيا لا تفرق صغيرا عن كبير ....ولا فقيرا عن غني ..!

ابتدأ الأمر بصراخ أحد ساكنات القرية العريقات ...لينتهي الأمر بتجمهر ودوي صفارات الشرطة وسيارة إسعاف!

.وكل هذا سيكون بلا جدوى ! ...فبعد الموت ما من نجاة ... وعند حضوره تنتهي كل الفرص وينغلق باب الأمل بخفوت مودعا كل وميض ضوء !

فتاة في السابعة عشر من عمرها ...بثياب شبه ممزقة وأقدام حافية وأطراف نهشها الثلج ببرودته ...تضع وشاح كانت تأمل في أن يخبئ خصلاتها ...وجهها طفولي وشفتاها مجمدتين ... جميلة نالت منها الحياة ولم تبقي منها سوى جثة ...جثة منكمشة على نفسها وبجوارها بضعة أوراق! ...

لَكم يرق القلب لتلك الكلمات التي قرأتها وسأبعثها لقلوبكم خلال أسطري! ...

عندما سألت سكان الحي ....كل من رآها شعرت بمدى الخزي الذي تملكني فجأة ... في لحظة كرهت جميع الوجوه من حولي ... وكصحفية شاهدت حوادث كثيرة ....ومصائب أعظم ...لكن مشكلة عنان استوقفتني ...آلمتني لترطمني بحقيقة صعبة التصديق ...حقيقة لطالما هربنا منها !

عنان فتاة مسلمة من أصول عربية ذات عائلة لها حسب ونسب ومنصب كبير في ماليزيا ...أخبرت إحدى جارات الحي الذي سكنته حديثا....أنها فقدت والدها في العاشرة ... وتبعتها مباشرة فقدانها لأمها وإخوانها عندما أراد أحد أعداء والدها الراحل والذي كان حاقدا على عائلتها... لِما كان لهم من مكانة واحترام هويتهم كمسلمين ....فكانت نهاية عائلتها انفجار !

فتاة صغيرة عائدة للبيت! ...لتُصدم بما حدث وتواجه هول ما فقدت !...وقد بدأ صراعها مع الحياة عند التحقيق معها واتهامها لذلك الرجل البغيض الحاقد لينفي ذلك ويشير أن والدتها لم تصبح امرأة سويَّة بعد وفاة زوجها ولطالما أهملت صغارها ...وأنها قد تكون حادثة انتحارية !...ولصغر سنها لم يصدقها أحد!! ..

.وولّى القاضي رعايتها لعمتها ... التي بمضي شهر ...جعلت الصغيرة إحدى سكان دار رعاية للأيتام ...لم تتحمل عنان تلك الأيام الحالكة في جدران الميتم وبحلول عامها الخامسة عشر كانت تنوي الهروب حتى أتت تلك العائلة التي أرادت تبنيها ... !!وهناك علمت أن ما تحملته شيء وأن ما ستعانيه شيء آخر !...

كانت السيدة التي تبنتها لطيفة للغاية ...وحيدة ...ولطالما أخبرتها عن سعادتها بها وأنها تعتبرها ابنتها التي لم تلدها ...قضت عدة أيام استعادت بها الحنان والحب اللذان كانا يفيضان من أمها وقد كادت أن تنسى الشعور بالانتماء ودفء الاحتواء !

حتى أتى زوجها ذلك الوحش الذي كان غائبا وأطل بشراسة معلنا عودته...!

رفض وجودها وتأذت السيدة بسببها ! ... كادت ترحل ...ولمّا علمت منها أنه يتعاطى نوعا من المخدر وأنها تريدها ...وتوسلاتها لها بالبقاء ...

رقّ قلب عنان اتجاه تلك المرأة وقررت أن تستسلم لرغبتها في البقاء ...حتى أتى ذلك اليوم الذي أراد أن يعتدي عليها في منتصف ليلة حالكة كهلع قلبها وتيه

عقلها!!...ولما وقفت له زوجته متصدية ...رفع سكينا ووجهه إليها.. وببضع صرخات وآهات كان مصدرها السيدة...انصاعت للمرأة المسكينة بهتافها لها بأن تبتعد ..فهربت...وبعدها لم ترى شيئا ...ركضت عنان لأبعد الحدود ....ركضت بين الشوارع ودلفت للعديد من الحواري ...بلا وجهة وبلا تفكير وبجسد هزيل وثياب غير مهيأة أبدا لبرد الشتاء و أمطاره ... وقلب غير مهيأ لمزيد من الآلام! ...

بعد عدة ليال بلا ماء ولا غذاء والبرد فتك بجسدها الصغير ... نظرت على الجانب بينما كانت تتكأ على أحد جدران البيوت ...تختبأ في إحدى الحواري ...عيناها كانتا هائمتين لكن ...كان بإمكانها أن تميز ذلك القادم ومعه طعام يقوم بتوزيعه على أطفال الشوارع !...ابتسامة متعبة شقت ثغرها ...وهمّت بالنهوض !

...سيرها كان أشبه بالركض ..أو هكذا خيّل لها من شدة جوعها وإرهاقها الذي وصل ذروته....لتخونها قدماها وتتعثر في حجر كبير ويتمزق آخر آمالها وآخر مُنج لها من هلاك الثلج ....تمزق حذائها ...وسقوطها كان أقوى من أن تقاومه .. وصرخة مكتومة إثر ألم دب فجأة بساقها اليسرى!

وبعدها دفنت وجهها بين حبيبات الثلج وبكت ..بكت حتى فقدان الوعي!! .....

وهكذا كانت تمضي أيامها ... تبحث في كل مكان عن بعض لقيمات تبقيها حية وقلبها يلهث ذاكرا الله ...لا تملك سوى لسانٍ رطب وقلب متألم وجسد هزيل وقدم قد كُسرت منذ آخر تعثر لها في الحجر وهي لا تستطيع أن تتحامل عليها! ....ولأنها لم تعالج بفترة وجيزة فقدت عظام ساقيها مكانها الصحيح ...فلم تعد قادرة على المشي إلا بساق واحدة ...!

أخبرت إحدى صديقاتها هنا أنه أثناء تجولها تعاطفت إحدى الفتيات المارات بها وأعطتها فطيرة المربى ..فالتهمتها بشراهة لتفيض دمعة من بين جفنيها ...عندما كادت تنسى حبها لتلك الفطائر !..

كادت تنسى معنى لذّة الطعام ورائحته الشهية ...ضمت الشطيرة بعينيها وكفيها وكل حواسها والتهمتها بشراهة ...

راقبها أحد بائعي الخضراوات ...عرض عليها أن تكون معه!...هل حقا ستعمل وسيصبح لديها مال؟؟

علقت ببصيص الأمل وركضت لاهثة تتشبث بخيطه...

بدى عليه الحيرة وفكّر في التراجع عندما انتبه لتورُّم ساقها اليسرى ...ولمح ذلك في عينيه لتنهض فجأة وتقول وقد حشرجت نبرتها و تشبثت به طالبة النجاة ...أخبرته أنها ستعمل بكل جهدها ..أخبرته أن قدميها لن تكون عائقا ....ستقف معه كما الرجال ....يكفي فقط أن تكون معه ...!

.و بعدها أسسَّت الصغيرة عملا صغيرا استأجرت منه غرفة لها في الحي القديم في محِور دكان العم... و مع أول مرتب صغير لها أحضرت بعض الاوراق وتملكت السعادة منها عندما وجدت أن بحوزتها نقودا تكفي لشراء قلم رصاص أيضا! ...و ...كتبت ...في كل مكان كانت تكتب ...

وكان العم يراها ويتعجب لتلك الابتسامة والسعادة التي لم تجهد في إخفائها !...تغمرها كلما انغمست في تلك الكتابات المجهولة التي لا يعلم أحد عنها شيئا سواها ...!

وتأبى الحياة أن تترك عنان وشأنها ... أتت يوما لعملها ولم تجد العم ...تملك اليأس منها عندما علَمت أنه فقد دكانه ورحل من الحي أسِفا وقد خسر كل شيء تقريبا ...علمت أن الشرطة حجزت كل أملاكه لديون لم يسددها ..وعندها بكت ...بكت كأن لم تبك يوما ...كانت تعرج ...تحاول حث قدمها على التقدم لكن هيهات ...فالقلب متألم!!... وخضعت كل خلايا الجسد له فركدت ...ويبس قلبها وجف أملها !

...عادت لغرفتها وهي تعلم أن الإيجار لم يتبقى على سداده سوى يومين! ...ستخسر حياة اعتقدت أنها ابتدأت!....راحت تتدفأ بآخر دقائق لها قد تحظى بها للأبد !...وكالعادة لن يساعدها أحد وتلك المرة هي لن تطلب!! ... سئِمت الذل ...فليحدث ما يحدث ...وألم الساق يزداد !...وأنين القلب لم يتوقف لحظة ...!

تركت الغرفة وما تبقى بحوزتها من أموال برسالة اعتذار كتبت بها بأحرف خجلة " آسفة ولكن هذا كل ما أملك!"

... خرجت قبل أن تشق الشمس أحضان السماء ...خرجت والغيوم باردة كبرودة روحها ...

ومرة أخرى تسير بلا وجهة بتيه أكبر من أي وقت مضى ...وبحزن سكن الأعماق ويأس سيطر على عمرها !

ولكن تلك المرة ومن بين فيض عينيها كان ثغرها يبتسم ...شعور أنها راحلة بدى أكثر واقعية وبدت هي أكثر استسلام له !

ربما عندما ينتهي رصيد الأمل بداخلنا ذلك الشعور الذي يجعلنا نتحمل كدر الحياة وضيق لياليها ...حتما سنعشق الرحيل!

كانت تمضي تارة وتمكث تارة ...لا تعلم وجهة ولا تود أن تعرف !...

تجلس...تراقب المارة ...وتلك الدنيا الزائفة ...وتلك القلوب القاسية ...اشتاقت لأمها كثيرا ... اشتاقت لدفيء يرفق بقلبها ...

مؤكد أن ما عند الله خير ...ليس عنده قلوب قاسية ..سيرحم قلبها وستنسى ألمها عنده ...

وهطل الثلج !...

برد قارس تملّك من أطرافها ومع شدة العاصفة تعثرت أثناء محاولتها لقصد إحدى المباني لتختبئ تحته من صقيع لن يتحمله جسدها...لكن المسافة كانت كبيرة ...فزاغت عينيها ووجدت جسدها يتهاوى...حاولت الاستقامة لكنها فشلت تلك المرة !....

وبعد العاصفة!...

كانت لم تبتعد كثيرا عن تلك القرية فعرفتها إحدى السيدات أثناء عودتها ...شهقت راكضا نحوها ... محاولة ايقاظ عنان الصغيرة ...وقد كانت باردة ...باردة وتبتسم !...

****

عودة للواقع ...

ومع ابتعاد جثة عنان... أزحت عبراتي جانبا بخفوت عندما لمحت شيئا كان بجانبها ...فاتضح أنه ملف أسود ...بداخله بعض أوراق ....وأسطرٍ خُطت بيد تلك الصغيرة ...التي اتضحت أن الحياة اقتنصت العديد من الأشياء الجميلة من دنياها وأفقدتها معانٍ كثيرة كانت جميلة ...لكنها لم تستطع أن تقيد تلك الكاتبة بداخلها !

"أمي... وأخيرا استطعت أن أدخر بعض المال لأخط ما بقلبي على تلك الأوراق لأن تحمل عبئه زاد فوق قدرتي كثيرا ،أمي ..اشتقت كثيرا إليك ...أود أن أشكرك على ذلك المنام الذي زرتني به ...

ليت تلك الضمة كانت حقيقة فقد اشتقت لرائحتك ،حبيبتي كثيرا ....

صدقي أنني تحملت كل هذا العناء ووقفت صامدة لآخر لحظة فقط ....كي أكون وفيت بعهدي لك !

بأن أكمل ري تلك البذرة التي زرعتها بداخلي ...لكنها ذبلت ،أمي عندما كانت على وشك شق التربة!

رأيت من الحياة ما غفلت عنه ...نضجت أمي وأعترف أنه بقدر صعوبة الوصول لإدراك حقيقة كل ما حولي إلا أنه مهم للغاية للتعايش !

هنا في تلك القرية عرفتُ قصصا كثيرة ...رغم أنني لم أمكث فترة طويلة بها إلا أنني شاهدت كثيرا من قصص سكانها !...إنه عالم آخر ،أمي ...عالم متخبط يجعلك تصدق المعجزات بقدر تأهبك للآلام واليأس !

تارة كنت أبك فرحا لأجلهم وتارة كان أنيني يمزق قلبي حزنا عليهم ....وكنت أفرغ غضبي وحزني على أسطر أوراقي ...لأجد في النهاية قصة نُسجت من وحي الحزن ومن جنبات الآلام ...آمل يوما أن أكتب قصصا كثيرة وأنشرها ...

أنشرها لأوقظ ذلك العالم الغافي عن بداية شعلة الفساد التي ستتحول لحريق كبير يفتك به ...

لأصفع بكلماتي كلَّ من غفل يوما عن انسانيته ...!

ربما ليس لدي أسباب كثيرة لأبقي الأمل بداخلي و أرويه بشغفي نحو الحياة !...لكنني آمل أن يقرأ الكثيرون أحرفي ...من أن أستطيع أن ألمس داخلهم الصادق ...وأعيدهم الى الحياة مرة أخرى !"

****

لا أتذكر كم مرة أعدت قراءة تلك الكلمات ...

استمرت في المحاربة ....في الصمود ...صبرت وظنت أن الصبر سيعجز عن صبرها ...حتى عجزت هي في النهاية ...وكانت حزينة ...حزينة لأنها لم تستطع الصمود أكثر!

بكيتُ بحرقة كلما أعدت قراءة محتوى رسالتها ....حتى قررت يوما أن أجعل أمنيتها حقيقة ...خصوصا بعد أن رأيت تلك القصص والتي لمست قلبي وأيقظت مشاعر لم أكن أدرك أنني أمتلكها..

لذا قررت أن أقدم لها أفضل هدية كانت ستتمناها لو كانت على قيد الحياة ...وسأبعث بأحرفها لكل البشر ...علّ شيء ما يصحو بداخل كل منا ...شيء لو كان موجودا ...لما فقدنا عنان !...وكان ما تبقى منها أوراق وملف أسود!

وبداية أسطرها كانت " عشرة قصص ستباغتك !...فقط لوكنت... تصدق المعجزات!"

صلة خفية !

لحظات الألم ...تلك اللحظات التي لا يكفيك أن تضم جفنيك طالبا احتواء العتمة من ذلك الشعور الذي لا تستطيع أن تتحمله أوصالك ...لا يكفيك لتحمله أيدٍ تضم أناملك ولا دموع تذرف لأجلك ...هنا لا نحتاج سوى لقوة واحدة ...لذلك الشعور الروحاني وتلك الصلة الخفية ...التي تجعلك تعبر ذلك الجسر المهشم ...في تلك اللحظة وفقط نحتاج لقوة أكبر من قوة البشر ...لحب ولعلاقة أكثر تعقيدا من حب جنسنا ...علاقة من نوع آخر ...في تلك اللحظة ندرك أننا بحاجة للّه...أننا بأمس الحاجة لذلك الطيف الخفي الذي ينهال على قلبك ليدفئ برودته...ليهبط جفنيك تلك المرة ...وتغمض عينيك ...ولكن بعد أن يزول الألم ...!

اعتادت كل ليلة أن تنزوي في ركنها الخاص ...تجلس كما تحب دائما أمام النافذة المفتوحة عمدا !...تحب أن يعبث الهواء بغطاء رأسها وهي تركع ...تحب هي أن تنظر للسماء أثناء دعائها وتمتزج عينيها بألوان السماء وقت الغسق ...

كل ليلة لا تفوتها تلك اللحظة ...تنتظر ذلك الوقت لتستيقظ والكل غافٍ ...لترتشف حبا عظيما ...ودفئ محبب ...

مهما غلبها النعاس والمرض ...تستيقظ ..وإن لم تستطع الصلاة ...تهمس ...تذكر الخالق ...وحده من استحق ويستحق وسيستحق أن تستيقظ لتخبره أنها لا تنساه ...أن لسانها دائما مرطب بذكره ...أن قلبها ينبض لأجله....!

تستيقظ في الصباح لتقبل والدتها ...وتحتضن كف والدها ...تداعب رأس أخيها الذي يصغرها بعامين...

تذهب للجامعة لتبث كل معنى للحب والألفة لجميع الناس ...تجثي وتمسح على رأس اليتيم ...وتعطي المسكين دراهم خفية ...تحتضن صديقاتها بمودة وتعين كل من يطلبها ...

هي رمز للصلاح ...هي ألماسة في هذا الزمان ...نقاء غير قابل للتلويث ..

هي التي لا تعرف إلا الحب ...أم ربما حبها للبارئ من علمها هذا؟ ....

والحياة لا تحب هذا ...لن تسمى الدنيئة إن كنّا لن نشعر بسعادة يلطخها الحزن ...

إن لم تبعثر أمالنا الخيبة ...

إنه الأسبوع الثاني التي تشعر بألم مبرح في متوسط ساقها اليمنى ...

ظنت أنه سيزول فلم تخبر أحدا ...لم تشأ أن تقلق والديها ...لكن الأمر لم يزدد إلا سوءاً ...

وفي تلك الليلة أغرقت قطرات جبينها وسادتها وانتفض جسدها فصرخت باكية من شدة الالم ...حاولت أن تستند على والدها لكنها لم تستطع السير ...صرخت مرة أخرى وهي تتشبث به...ولسانها لم يتوقف عن الهمس ..الهمس الخفي الذي طالما اعتادته وتعلم أنه سيصل إلى محله جيدا !

حملها والدها للطبيب ...تمنت لو لم يذهبوا ...ليتها لم تبكِ ...ليتها تحملت ..!

كلمة واحدة من الطبيب وتوقف العالم وسكن كل شيء حولها ...ترى التحسر في أعين أحدهم تارة ودمعة متحجرة في مقلتي آخر وكلمات موجهة لها ...وهي ..هي لا تدرك إلا شيئا واحدة الآن ...أن كل شيء لن يعود إلى سابق عهده !

بتر ساقها ؟...ستبتر ؟؟؟...كيف ستسجد ؟... كيف ستمارس كل ما اعتادت على فعله ؟...تأملت بكاء والدتها وحزن أبيها وقلبها يتمزق...

****

استيقظت اليوم بشعور مختلف ...اليوم لم تشأ ان ترى أحدا فقط قصدت غرفتها... وما إن لامست أطراف قدميها السجادة وكبرت بصوت محشرج حتى انسابت عبراتها ... سجدت وتشبثت بسجادتها ...بكت ...أخبرت حبيبها أنها

خائفة ...رغم رضاها فهي تعرف أنها لن تتحمل ذلك الألم ... قضت ليلتها بجوار مصحفها ..ونامت طالبة دفئ سجادتها ..

أخبرها أخيها بأسى أن الطبيب حدد موعد تلك العملية الجراحية ...

لم تقطع عادتها ...قررت أنها لن تيأس ...ستبكِ ...سترجو ...ولن يخيب ظنها ...تعلم أن اللّه لن يخذلها ...الأمر لا يتطلب سوى قليلا من الثبات فقط !

وتتآكل الايام ...وأتى الموعد ...أخبرها والداها أنهما لن يستطيعا أن يدلفا معها للداخل ...فليس بالوسع تحمل تلك اللحظة! ...ابتلعت غصتها وهي تدلف مع أخيها ...

ترى المساعدين تترنح ظلالهم ذهابا وايابا ...وهي لا تعي سوى أن مقلتيها مشتتة ...تتنقل بين الأوجه بصمت لا يعي شيئا ...

تجرأت عبرة فرت من عينيها وهي تتذكر المكان الذي طلبت من أخيها أن تذهب إليه قبل قدومها للمشفى ...

****

قبل ساعتان ...

وصلت إلى إحدى الأماكن المتواضعة وقبضت على مالها تكتم دموعها ...بحثت بعينيها عن محتاج تعطيه له ...احتضنت قدحتيها تلك العجوز بالبشرة المجعدة والجسم الهزيل ...تجلس على الأرضية ...وظهرها منحنٍ ...تمتلك بضاعة زاهدة

وحالتها الصحية والمادية يرثى لها...ومع ذلك رأتها تبتسم وتحيي المارة وهي تجهد في تماسك خطواتها ...ومع ذلك لم تسقط !

تمالكت نفسها وتوجهت إليها ...ابتسمت العجوز لتقول بمرح " هل أتيت لتشتري ...لن أقبل أن تحتالي علي بمالك يا صغيرتي دون شراء شيء !"

تأملت سعادتها ...رغم العمر الذي استرق من جمالها جمالا ...إلا أن شعاع الأمل لازال ينير قسماتها ... !

كيف لها أن تكون متماسكة هكذا ؟...وجدت نفسها ورغما عنها تذرف الدمع دون سابق إنذار ...أنينها علا ...اتكأت العجوز على إحدى الصخور ووقفت متوجهة إليها ...أمسكت كفيها لتقول بحنو " ما بك عزيزتي ؟!"

وعندما كان الجواب صمتا...ضمتها إليها ....وبصمت اعطتها بدورها النقود ...أزاحت عبراتها وقالت محاولة رسم ابتسامة " ادعِ لي ، جدتي ...أرجوك ادعِ أن يخفف اللّه ألمي !"

مسحت العجوز على رأسها لتقول بحنو " لا تقلقي يا صغيرتي لم يخلقك اللّه لينساكِ يوما ...سترين ...سيزيل ما يعتلي قلبك برحمة وحكمة تليق به ...!"

ابتسمت بألم وهي تودع العجوز ...ورحلت ...

عادت للواقع والطبيب قد حضر ...ارتجفت يديها وفمها لم يتوقف عن الهمس ثانية ...لم يتوقف عن الذكر ...الالتجاء ...الانكسار للّه ...ومن بين كل ذلك فقدت وعيها ...وهي كانت بحاجة إلى هذا..

أمر الطبيب بإحضار المقص...ذلك الشيء الحاد ...الذي لا يرحم أي شيء يوضع بين فكيه !

التف المساعدون وأتت تلك اللحظة ....وضع ساقيها في المكان المطلوب واستعد ...وبحركة واحدة ...كان الكل ينظر بأسى ...أخيها بللت عباراته وجنتيه واعتصر عينيه يخبأها عن شناعة الحدث! ...كل من يحبها يتهشم داخلهم حزنا عليها ...ولا حيلة لهم ولا قدرة !

...لكن هناك ...في الأعلى ...وفوق سبع سماوات ... رب إذا أحب عبدا جنبه كل مكروه ..

وبحركة واحدة ضغط الطبيب ...وأغلقت العيون متألمة ....

وتراجع فجأة الطبيب وذهل ...عندما ...انفصل المقص لقسمين !

هلع الجميع مما حدث ...لسنوات يستخدمونه مع أكثر من مريض !

لسنوات لم يحتاجوا لغيره ...!

ارتبك الطبيب وأزاح حبيبات عرقه...ثم أمر متعجبا بإحضار المقص الثاني في المشفى ...وبحركة واحدة انكسر المقص ...أبى أن يطيع أمر الطبيب ...

ومرة أخيرة وآخر مقص في المشفى ...وانكسر ...فتعجب الطبيب وصرخ طالبا ملف تلك المريضة ...يبدو ان هناك شيء غريب بقصة تلك الفتاة..!

حادث سير ....وجرح لم يحكم إغلاقه طبيب ...وتعفن لبقايا قطن بداخل ساقيها ...سبب لها الألم ...وببساطة حُلَّ كل شيء ....

بأمر واحد انفصلت تلك الآلة الحادة ..وأبت أن تلمسها بسوء!

بكى المساعدون وهم يحكمون رباط جرحها ...وخليط من الدهشة والسعادة أحاط بالجميع ...فكيف سيكون شعورها هي ؟

****

انفرج جفنيها ...أغلقتهما مرة أخرى والعبرات انزلقت بخفوت ..لا تريد هي أن تستيقظ !...تخشى أن تتحرك حتى لا تشعر بما تهاب أن تحس به...!

وجدت أخيها يدلف صارخا فأفزعها ...قالت باكية " أرجوك لا تقترب ...أرجوكم أريد أن أبقى بمفردي" ...

حملها وضمها إليه باكيا ...فصرخت متألمة وهي تخشى أن تلمس قدميها ...تعلقت برقبته لترى الجميع هنا ...أصدقائها ...والديها ..والكل يبك فرحا ...ظنت أنهم يريدون تخفيف العبء عنها ...

أنزلها أخيها ... تسمرت للحظة....لتتلمس الارض !...نظرة لقدميها وصراخ أخيها " لم يحصل ما كنت تخافينه ...!"

شرح لها ما حدث ...وهي صامتة ..عبراتها تنساب وقلبها تعود إليه الحياة من جديد ...رد اللّه لها روحها مرة أخرى ... ضحكت وعبراتها تبلل شفتيها ...جثت على الأرض تحتضن وجهها بكفيها ...صرخت ...سجدت ...لم يخذلها !...كانت تعلم ...كانت تعرف جيدا أنه الكريم ...المعطي بلا مقابل ...أنه أقرب حبيب !

أنه أعظم من أن تقنط منه ...خرجت من المشفى ببداية جديدة ...أكثر قوة وإيمانا ...

وبعد ثلاثة ليال ....ذهبت لنفس المكان ...بحثت بعينيها عن تلك العجوز ...

عبرة لم تستطع كبحها عندما علمت أن روحها غادرت منذ يومين ...ابتسمت ...نعم فاللّه أخذها إليه ...من تلك الدنيا التي شقيت بها ...ومن ذلك الألم الذي كانت تعانيه ... مر الكثيرون في حياتها ...لكنها لن تنسى تلك المرأة ...لأن أمثالها ببساطتهم ورغم قلة ما تعلموه... إلا أنهم يمتلكون قوة ربما لم تكن بنا على الرغم من تلك السنوات التي قضيناها بالعلم ...وهنالك فرق شاسع بين من يعمل

بالعلم القليل فينجو و من يتعلم الكثير لكن لا يفقه في تحدي صعوبات الحياة شيئا ...

كانت إحدى الجارات تعرفها.... كادت أن ترحل فاستوقفتها لتقول " يا ابنتي أنا أعلم أن تلك الخالة كانت وحيدة ...ورأيتك سابقا معها...هناك بعض الحاجيات وجدتها في بقعتها التي كانت تحتمي بها دائما ...هل تودين أن تأخذينها؟ ..!"

أحضرت لها حقيبة جمعت بها أشيائها ...وصلت للبيت ودلفت لغرفتها ...

أفرغت ما كان بتلك الحقيبة ...وجدت كتابا ...بل اتضح أنها كتيب رسائل ....مكتوب عليها تاريخ قديم ..بآلام وذكريات مضضت عليها عشرون عاما ... قرأت رسائلها والتهمتها...

" أعلم يا أمي أنك غاضبة كثيرا عليَ وأعلم أنك محقة ...تعلمين أن ابتعادي عنك ليس بيدي ..."

" مضت عشرون عاما وأنا لا أعلم عنك شيئا ،أمي ...أتمنى أن تكوني بخير "

" اشتقت كثير إليك....سأعود قريبا وتلك المرة أعدك أنني لن أخذلك !"

" أمي أنجبت فتاة تشبهك كثيرا وسأعود قريبا !"

" أمي زوجتي لم تتفق معي بعد على عودتي اليك ...أعدك بأنني سأحاول مجددا !"

أهذا ابنها ؟...كيف له أن يترك والدته هكذا ؟؟...كيف تحمل أن يتركها وحيدا بلا مأوى تعصف بها الرياح دون سقف يأويها...

الأحرف كان حبرها مشوشا ...ومجعدا في بعض الاماكن يبدو أنها كانت مبللة ...ربما كانت تلك عبراتها ...ربما كانت تبك أثناء قراءتها

ترقرقت عينيها وهي تتذكر كيف كانت حالتها ....**كيف مضت سنواتها هكذا**؟... **كيف تحملت صقيع البرد ولهيب ألسنة الشمس** ...!؟

ابتسمت بألم عندما لمحت لوحة من الخشب تحتفظ بها تلك المرأة العظيمة محفور عليها

" **إنه هو اللطيف الخبير** "

قررت بعدها أن تجعل لها وقفا ينير عتمة قبرها ...**أن تكون تلك الابنة الصالحة التي لم تنجبها** ...

وهكذا أضحت بمضي لا يهاب تلك الحياة ...**وهي تشعر أنها أقوى** ...**باتت تعلم أن تلك الحياة مهما عصفت بنا يمنة ويسرى** ...**فلا تستحق** ...**حقا لا ستحق التألم** ...**لا تستحق أن تذرف العينين دمعة لأجلها** ..**لا تستحق تلك النبضات التي تنبض شغفا بها** ...**إنما هي رحلة قصيرة ونحن مهما أقمنا ونحسب أننا نقيم** ...**فحياتنا كلها في سفر** ...!

حورية الجنان...

أخط تلك الاسطر ...انسج تلك الاحرف ...أحادث نفسي ...أعاتب قلبي بنبض أجزم أنه سيلامس أوتاركم بخفة....

عندما أجلس وحيدا ...وتأسرني افكاري ليراودني سؤال بين تلك الهموم على عاتقي ...وتلك الدنيا التي أصبح كارها إياها وأمسي بمقت لا مثيل له من أجلها !...

سؤال في كل مرة تعجز النفس على جوابه ويتيه العقل باحثا عن مخرج !

هل سبق وكان لي هدف حقيقي ؟...هل سبق واخترت أمرا باق ؟...هل سبق للحظة واحدة ولم أفكر بمتاع أو منصب أو دنيا حقيرة أعلم جيدا أن مصيرها الفناء! ...إنها لا شيء ....

إنه الهروب ملاذ كل جبان ...في كل مرة كنت أهرب بها لأعود لبداية السطر من جديد ...

حوريتي...حبيبتي ....ربما لم تسمعيها مني ...والزمن لم يمنحني فرصة لأعبر لك ليس عن حب ...ولا عن عشق ...بل احتياج !...

نعم فأنا كنتُ بأمس الحاجة إليك ....

أتيتِ أنت وأتت معك السعادة ...الحب والعطاء ...أصبحت من رجل هائم لا يعلم الصواب وبدون قصد منك ... جعلتني أتلمس صواب طريقي ...عرفت حقيقة رسالتي علمت وأخيرا سبب وجودي ...لكن ...بعد فقدانك ...!

وكأحمق لازال ينشد البقاء في تلك الحقيرة ...أشتاق اليكِ...وشوقي يهدم داخلي بقسوة ...

أما آن أن اراك ؟...أن تطربي مسامعي بأحرف شفتيك ...أما آن للبريئة أن تزهر العتمة بنور نقاء قلبها ؟

أتذكر ذلك اليوم جيدا ...ذلك اليوم الذي قررت فيه أنهي حياتي عندما وقفت أعلى البناء وأدمعي تخاطب الرياح بيأس اجتاح القلب ولا مفر منه !...لينتهي بي المطاف بأقدام ساقتني لطبيب ربما يعالج كآبتي التي بت أسأم منها... لأنه كعادة جبان مثلي لم استطع حتى إنهاء تلك الحياة البائسة!

دلفتُ بأعين هائمة... حتى تلاقت مع سماء عيناك ...حتى تلمست شعاع الدفء في مقلتيك ...حتى التمست الراحة بحديثك

وأدهشتني تلك الطبيبة الصغيرة ...التي تحمل بجعبتها حبا ووفاء يأسران العالم بأكمله ...

قلت لك أني لا أستطيع أن أحب ...لا أستطيع أن أبث المودة التي افتقدتها منذ صغري !

فقلتي لا يوجد من لا يستطيع أن يحب بل نحن من نمسك عن أنفسنا حبنا ...حب ذاتنا ...حب كل من حولنا ...حب وجودنا .. ذلك الشعور ذو اللذة الخاصة حتى وإن كنا نفتقده فببساطة نستطيع أن نمنحه!

...السعادة ليست شيئا صعب المنال ...السعادة حبيب سيطرق بابك فقط... إذ أفسحت له المجال !

أصبحت عيادتك منزلي ...أصبح حديثك منجاتي ...أصبحتِ أملي ...أصبحتِ نور عتمة ليال طويلة ..

مرت الليالي اقترحت كتبا فتناولتها بشراهة لأناقشها معك...و في اليوم التالي بشغف لا مثيل له ...ذهبت بصحبتك مع أناس كثر لدار رعاية للأيتام ...رغم كثرة الازدحام ...لكنني لم أكن أرى سواكِ ...ابتسامتك ...سعادتك لصراخ الاطفال وضحكاتهم ...مزاحك....حرصك على سعادة غيرك رغم أنني أجزم أن السعادة بداخلك ليست بذلك القدر الذي تهدينه !

ذات يوم ولجتُ للبناية ...أتيت بموعد كعادتي ...لكن آخر موعد لي هنا كمريض ...

وأردت أن أسطر بداية مختلفة ...لكنني لم أجدك ..!

.يوم ..ليلة ....وأخرى ...

انقلبت بفترة وجيزة أحوال بلادنا لتتحول إلى صراعات ...قتلى ودماء تتلطخ بكل مكان ...خوف ...انعدام للاستقرار ..!

وكل هذا مع اختفائك كان صعبا كثيرا ...نشدت البناية كآخر أمل ...فلم أجدك حتى استوقفني صوت أنثوي ...زميلة لك أعلمتني بمكانك ...!

فركضت إليك لاهثا ...تعتصمين مع الثوار بأحد الميادين ...رأيتني.... لتتهلهل أساريرك ظنا منك أنني أتيت لمشاركة الحشود!

...لكنني أتيت خوفا عليك ...أردتك ان تعودي أدراجك ..وأن هذا لا يناسب عقليتك ...لا يناسب الطبيبة أن ترمي بنفسها الى الهلاك ...وأن ليس لهذا سبيل أو فائدة !

ترقرق بريق غريب بتلك السماء الصافية بمقلتيك ...بريق آلمني ...قلت حينها انك لن تعودي ...وأن دفاعك عن دين تجرح شريعته ..وحرية تنتزع ....ودماء تهدر بلا حق !..يستحق ان تفنى حياتك لأجله..

سحقتني تلك العبرة التي فرت من عينيك وأنت تتخطيني ذاهبة الى خيمتك ...!

لا اعلم كيف ...لكنني لم اغادر ...مكثت بين تلك الجموع ...أشاهد سعادتهم بموقفهم ...شجاعتهم

ثبات كلمتهم ...وحدتهم ...إصرارهم وعدم الرجوع لفت انتباهي كثيرا ...أيقظ شيئا ما بداخلي ...

كنت أراك مع صديقاتك ..والدتك وتقبيلك لأباك بحنو ...كانت سعادة ....سعادة من نوع آخر ..

كل شيء كان جميلا ...كل شيء كان سيكون بخير لولا تلك الليلة ...!

تلك الليلة التي هلعت خوفا من طلقات الرصاص التي كانت تقتنص كل مرة نبضة من نبضات قلبي الذاعر...رأيت شفتيك تمتمت بشيء وأنت تختبئين من القناصة أسفل الحاجز ...كنتُ أشير لك من بعيد فتبتسمين مطمئنة إياي حتى وأنت خائفة !...

فجأة وجدتك تصرخين عندما أصيب أحدهم ...وأصبح العدد في ازدياد ....وانا أنشد النجاة ...

وجدتك تهمسين لوالدتك بشيء ...وتركضين.. فجأة ...هلع قلبي وأنا أراك تركضين ناحية الجرحى ...تضمين مصحفك! ...

صرخت بهلع "حليمة!"

أمسكتِ الصخرة بيديكِ ...بريئة شجاعة أنتِ حوريتي ...تظنين أن الصخرة ستعادي رصاصا!

فجأة ارتد جسدك ...وجدتك تلتفتين إلي

نظرتي ..أطلتي النظر حتى أنني تعجبت لفعلتك ..ابتسمتُ وقد أحرقت العبرات وجنتاي ...دثرتك بعيني!

..ليترنح جسدك ...فتسقطين ويتهشم كل شيء ...تغادر أنفاسك ...ويغادر حياتي كل شيء ...!

همسة سحقت القلب وأدمته ...همسة ضعيفة باسمك وأقدام لا تقل ضعفا !...راقبتهم وهم يحملونك ...وأنا ما زلت متجمدا مكاني ..هل انتهى كل شيء بلحظة ؟...

وجدتني أركض بين صوت الرصاص وصرخات الجرحى بلحظة واحدة ...تخلصت من كل مخاوفي ..

..أتعدى الجرحى ...فقط أريد أن أصل إليك ...فقط أريدك أنت ...وصلت إليك وأنا أرى الجميع يبكون ...الجميع هالع ...تلاقت أعيننا ...لأراك تتأوهين وزرقتك غائبة حبيبتي ...جثيت ويداي ترتعشان ... ولساني يلفظ بكلمات مغمغمه ...ووالدتك قد ضمت كفيها تكتم شهقاتها ...عاودت النظر إليك ...ليس بعد أن أحببتك!

حليمة! ...ليس بعد أن وجدت ضالتي بك ...أرجوك لا تبتعدي!

...وقفت مبتعدا عن الجميع ...أتمالك نفسي بصعوبة ...لمحت والدك يأتي ...فعلى صوت أنيني عندما رأيته يزيح الغطاء عن وجهك ليقبلك باكيا ...

انتهى إطلاق الرصاص بعد انتهاء أنفاسك حبيبتي ...عدت وكلماتك لا تفارق أذناي ...وكأنك كنت تعلمين ...كأنك كنت على أتم الاستعداد لهذا ....أخبرتك لنعود ففضلتي البقاء ...

أخبرتك هل تريدين أن تنهي حياتك هنا ؟

فابتسمت قائلة إن كنت سأرتقي من هذا المكان لأعلى الجنان فأنا موافقة! ...

مرت الليالي وما زال القلب ينزف بكاء مريرا عليك ...

بعد ثلاثة ليال من استشهادك وجدتُ هاتفي يرن ...حادثتني مساعدتك وأخبرتني أن هناك رسالة وجدتها على مكتبك تخصني !

" أعلم أنه لم يمضي وقت كبير على تعارفنا ...وأعلم أنك الآن على حافة البداية ...البداية لحياة جديدة بدأتَ في اكتشفاها ...أردتك أن تكمل جلسات علاجك ...أردتُ أن أقدم أفضل ما بوسعي لك ..لأنك أول مريض أرى به شغف التغيير ...لكنني حقا لا أضمن لك رجوعي ...أخاف أن أخيب ظنك فتجد نفسك على الحافة مرة أخرى لكن على حافة الهاوية !...لذا اعلم جيدا أنني فخورة بك وآمل من كل قلبي أن تكمل مسيرة أنت أردتها وأنا لم أكن سوى بداية مشجعة لك ...أتمنى لك حياة سعيدة مطمئنة وآمل إن علمتَ أنني رحلت أن لا تنسى دوما أن تدعو لي !"

بكيت ...بللت جفوني آلامي...ليتك تسمعينني الآن...لأنني أردت أن أخبرك أنني سأسير على خطاكِ ...سأغدو أحد رجال هذا الدين وسيصبح رفع رايته هي رسالتي ..

لن أقول لك وداعا ....

بل إلى لقاء قريب ... !

بنظرة عين !

لحظة فارقة ...صادقة ...قد تغير مسار حياة

قد تكون نقطة التحول ...الملاذ ..والمنقذ ...

تأمل الكأس ليلتمس بلسانه آخر قطرة من تلك الزجاجة ثم ألقاها بغضب لتتناثر أشلاؤها على الأرضية ..متى انتهت تلك الزجاجات اللعينة؟!

أمسك بقبضته القوية حافة الكرسي ليستند عليه ...لكن الاستقامة صعبة ..صعبة مع كل تلك الكمية التي تجرعها دون أن يشعر! ...

خرج من تلك البناية القديمة ...خطواته مترنحة وأنفاسه كريهة ...ورأسه يؤلمه !..

رأسه يؤلمه مع كل هذا التفكير ..كل تلك التخبطات ...هو لا يعلم أي السبل يسلك؟ ...

أيهم على حق ؟

مرت عبارات أصدقاءه تغزو آذانه مجددا ..فقبل بضع ساعات كان موضع حديثهم ..أم ربما سخريتهم !

لا يعلم أي الأقنعة يتخفى؟ ...هل في رداء الشاب الطيب الذي أقسم أن لا يؤذي أحدا و...لولا تدخل رفاقه لكان دمه ينساب حتى ودّع روحه في عراكٍ حتما كان سيكون المهزوم!

أم يكون كباقي رفاقه؟ ..كأي شاب رآه ...ينسى الماضي ولا يرى المستقبل يعيش اللحظة فقط ...بلا أية قيود ودون لحظة تفكير في أي عقبة قد تتبعها كل خطوة للأمام ...

قد سأم ان يكون ضعيفا ...سأم من تلميحات والده وتلك السيوف التي يغرزها به يوما بعد يوم ...سأم من أن يكون دائما المهان ...دائما ما ينال هو الخسارة ...

يبدو أنه كان يعيش بالمقلوب ...يبدو أن التخلي عن القلب وردم الانسانية هو الحل !

هو مفتاح العيش في تلك العتمة والغابة الموحشة التي أصبحنا بها !...

تأمل الحافلة التي توقفت محل قدميه ...ليصعد بلا روح ...وبلا وجهة!....وكالعادة ليس له مكان ..فتوقف دون أن يستند على أية حافة!

توقفت الحافلة... ليرتفع بصره رويدا مع صعود تلك ...الأميرة ! كما فسرتها عيناه ...

فتاة بحجاب رغم ما يخفيه من بدنها ويخبأ من خصلات إلا أنها لا زالت تبدو كبلورة من اللؤلؤ ...

في تلك اللحظة تأمل ابتسامتها وهي تقف قبالته وتربت على إحدى المسنات تبادها الضحكات ..حتى أنه شعر بسعادتها كنسائم تراقصت في قلوب كل من كانوا على متن الحافلة أما هو فلم يكن يتردد بداخله سوى...

همسات شياطينه ...عبارات رفاقه ...وفرصة لبداية إنسان جديد ...بداية الوحش!

حاول أن يعتدل في وقفته قدر المستطاع لكنه لم يجتهد في أن يتمالك استقامته ..فالترنح كان هو المطلوب!

ولحظة دون تفكير كما قرر أن يعيش بعد الآن .. نعم سيفعلها ...نعم سيغدو ذلك الذي كان يخشى أن يكونه ...اقترب منها ...ظل ينظر إليها وهي لا تعي تلك الشياطين التي تتراقص بعينيه فهربت بنظرها بعيدا عنه...

أنامله التي في أتم الاستعداد رغم ارتجافها ...نظراته لا تحط سوى على ما يعزم على فعله ..

فجأة وبلحظة واحدة ..

تعثرت الحافلة بإحدى الصخور ....ليرتمي بجسده عليها ...وتتمكن يداه منها ..

أفرغ غضبه ...حزنه ...أفرغ كل ما يعتليه ولم يتوقف إلا عندما تأوهت!...

استقرت الحافلة وابتعد عنها ..ويداه ترتعشان ودون أن يشعر وجد أنه يشهق ...كان يبكِ!!

كان ينظر إليها وكأنه يتأهب ردة فعل كان يريد أن تكون كما كان يأمل ...

ببطيء التفتت له ...و يا ليتها لم تلتفت ...ليتها لم تنظر هكذا !...ليتها صرخت ..ليتها غضبت ..

لكن لما تنظر هكذا ؟!

سيف حاد شق صدره ..عيناها كانتا مكسورتان...ضعيفتان ...مرتجفة ..وكأنه سلب منها روحها!

ظلت تنظر إليه وهو يكاد يشعر بحطام ما سببه ..لم تكن تلك النظرة التي يقصدها أصدقاؤه بالتأكيد !

لم يشعر بما وصفوه ...هو لا يشعر الآن إلا بالخزي...التقزز من نفسه !

تأملها..

بلحظة واحدة اقتنص منها تلك الابتسامة ...أصبح الحزن والخجل والارتباك يعتليها ..شحب لونها ...تحيط جسدها بيديها وكأنها تخبأ نفسها ..كأنها تبث بها طمأنينة هو نهبها !

بنبرة مبحوحة طلبت توقف الحافلة ..ترجلت ليراقب ركضها بعيدا عن الحافلة وكأنها تنشد النجاة بعيدا عن وحش مثله...ترجل بعدها والدمع لم يتوقف للحظة ...لهب أحرق وجنتاه وكأنه قصاص لما فعله بها !

هكذا بدأت القصة ...

****

وأن أكون الراوي لم يكن بالأمر السهل !

وجدتني أطرق باب منزل جدتي وقد خارت قواي ...لتفتح هي الباب وتصرخ بهلع من مظهري... ألقيت بنفسي بين ذراعيها ووجدتني أبكِ ...وجدتني أشهق كما لم أفعل من قبل ..ومن بين هلعها وتساؤلاتها عن ما حدث أنا فقط ..غفوت!

غفوت لأهرب من كل ما حدث ..من أن أواجه نفسي بأن ما حدث حقيقة !..وأني بدأت لتوي أولى خطواتي للعالم الآخر ..أم ربما هلاكي؟

كنت أهرب بعيني بعيدا عن جدتي التي وضعت أشهى ما أحبه من صنع يديها ...لكنني كلما قررت ان أتناسى ما حدث ...تتراءى أمام عيناي ارتجاف حدقتيها لأشعر بأنفاسي تتزاحم ...

وجدت جدتي تضم أناملي لتقول بحنو .." هل أنتَ بخير ، صغيري؟!"

ابتعلت غصتي ...لم أستطع أن أبني سورا على كل تلك المشاعر المتخبطة التي أشعر بها ..لم أستطع تفادي ما حدث ..أفصحت بحرقة ما يعتليني ...أخبرتها بكل ما حدث لتنصت إليّ وأنا لا زلت أهرب ..أهرب بعيني منها ...لتتلقفني هي فجأة وتقول ...

_" أنت تشعر بالذنب وهذا دليل أنك لست إنسانا سيئا لتلك الدرجة ، بني ..صحيح أن ما سلبته لن تستطيع أن ترده مهما فعلت...فتلك كرامة..أنت بفعلتك لم تفزعها فقط بل أهنتها ...وكأنك تثبت لها ما تملك من قوة على سبيل كسرها وتذكيرها بضعف ما تملك من زمام قوة مقارنة بك ...أنت جعلتها تخاف... سلبت منها أقل حق قد تملكه يوما!...ذلك الأمر صعب أن تتحمله أي نفس ، بني !"

_" نظرتها كانت قاتلة ...لم تتفوه بحرف ابتعلت أشلاء حزنها وهربت بعيدا لأظل انا قابعا بألم بذنبها !"

_"أنت استحققت هذا !"

رفعت نظري إليها بحنق لتكمل بملامح جامدة " إن أردت أن تكون إنسانا سيئا متوحشا ...فهذا شيء أنت من تقرر أن تخوضه ..لكن لا يجب أن يتحمل عواقبه أحدٌ غيرك ...فالإنسان الذي يثبت قوته بإدماء الآخرين إنما هو أضعف منهم !"

تركتني وغادرت ...علمت منذ ذلك الوقت أنني ضعيف ...أضعف من أن أتحمل نتاج قرار اعتقدت أنني أمتلك الشجاعة لخوضه ....

منذ ذلك الوقت وأنا أنعزل عن كل من عرفتهم ... أتحاشى ملاقاتهم...علمت بمدى تقزز معرفة أناس يبنون شجاعتهم على رهبة وسحق غيرهم ...

ربما كانت لحظة صعبة ...لكنها غيرت مسار حياتي ..لأول مرة بدأت أعيد النظر لأمور غفلت عنها ...أم ربما كنت خائفا من مواجهتها ! ..لكنني استعدت ولو قليلا مما أستطيع أن أستند به لأعثر على ما تبقى لي من الطريق ...

كانت أول مرة وآخر مرة أسلك بها سبيلا لا أعرف نهاية مطافه !...أجهل إلى أين قد تقذفني هاويته!

مرت الليالي والسنوات وازداد تخبط الحياة لي ولطماتها التي لا ترحم ...كنت أقيم عند جدتي التي لامتني على وصولي لمشارف عقدي الثالث ولم أختر شريكة لتلك الحياة البائسة بعد !...كما أنه يبدو أنها تضع عينيها على إحدى الفتيات لكنها تتردد في أن تصر على رغبتي في الارتباط حاليا..

أتذكر ذلك اليوم حين عدت وقد أحضرت أزهار جدتي المفضلة ... أحضرت مع الأزهار خطابا بمثابة حياة بالنسبة لي ...

حملت بين شفتاي بشرة ...أردت ان أصيح بسعادة أنني قررت أن أصبح رجلا كما كانت تتمنى أن تراني .أردت أن أرى عينيها تلمعان بسعادة كما أحببت أن أراها دوما ...أردت ان تعانقني لأشعر بالدفء التي هي وحدها من تجيد منحه....أردت أن أخبرها أننا سنذهب سويا لمنزل تلك الفتاة التي أخبرتني بها وأوصتني أن أذهب للقائها ....

****

ها أنا مجددا ..أعدّ خطواتي لمنزل تلك الفتاة بقلب ممزق ..لا أتذكر كم تمكن ألم فراقها مني ...لأن هي من كانت تواسي آلامي ..فارقتني زهرة أملي ...فارقتني من كنت أرتمي بداخل ذراعيها أنشد الدفء عندما ترميني الحياة بسهامها الباردة...

طرقت الباب ..ابتسامة أجدت رسمها ...ومثالية أتقنت تمثيلها ....فعلت كل شيء قلت كل ما كانت توصيني به... كما كتبت قبل رحيلها.... وورد لم تغفل تذكيري بإحضاره أيضا ...بالضبط من نفس النوع الذي تحب !

انتبهت كل حواسي مع دخول تلك المنتقبة ...لم أطل بحديثي معها وجدت نبرتها مبحوحة فظننت أنها تخجل من تواجدي فقررت الرحيل ...أخبرتهم بأنني لا أود أن أرها ...أنني راض بها كيفما كانت ...

عقد قران ...حفل زفاف وضجة ...وأصبحت زوجتي! ...دلفت للمنزل ولكن تلك المرة لم أجد اتقان تمثيل السعادة ..

شعرت برهبة ...بخوف ..وفتور ...كيف سأعيش معها وأنا لا اعرفها !

ابتسمت بسخرية عندما سبقتني بخجل للغرفة وأغلقتها ...تهاويت بجسدي على الأريكة ولم أشعر بتلك الدقائق التي مرت وأنا جالس بنفس الوضعية أمام الباب الذي فُتح للتو ...رفعت رأسي وقد تبينت من قدميها أنها بدلت ملابسها ...رفعت بصري لأبتسم لها ...لكن..

شعرت بنبضاتي تتضاءل ...وأنفاسي تتيه ...وسنوات مضت عادت جمعيها حتى توقفت عند تلك اللحظة ...عند الحافلة والركاب ..الفتاة ..و ..عينيها !

...جحظت عيناي وانا أستقيم ...خليط من الفزع والرهبة وكأن المشهد يعاد لكن الأدوار متبادلة !

همست دون وعي " أأنت؟!"

ابتسمت ....ظلت محتفظة بابتسامتها ...كانت تكتم عبراتها

وأنا فقدت...فقدت التفكير وجدت العبرات تنزلق من عيني وأنا أقترب محتضنا إياها ...أهمس بكلمات ...اعتذارات ..وهي احتوتني بصمت !

" كانت من أصعب الليالي التي تجاوزتها...أدركت حينها أن الله أراد الي التستر فالتزمت من بعدها بالنقاب ...دعوت الله ان يردك إليه... أن يهديك صواب الطريق ثم تتلمس الطريق الموصل اليّ لتكون نصيبي ...فأنا أردت أن أول وآخر من يلمسني ...هو زوجي !"

هكذا أخبرتني ...ولم أشعر بمضي الوقت وأنا أروي لها كم من الوقت انتظرتها .....أخبرتها كم تمنيت أن يجمعني القدر بها من جديد فقط لأخبرها كم أنا نادم ... كم أني آسف ..آسف لتلك اللحظة ...اللحظة التي غيرت حياتي ...

تحدثت وأنا أضم أناملها وكأنني أعرفها منذ مدة!...وهي....هي كانت في غاية السعادة ..والابتسامة التي أسرتني لم تذبل بل أصبحت أكثر اشراقا !

وبعد تجاهلي لرؤيتها أو معرفة اسمها ...أصبحت "نور" ..تلك الفتاة التي أسرت عقلي من أول لقاء... والآن ..هي تحوز على القلب ...على الوتين...تحوز على كل ما ملكت وقد أملك من حب!

نور.... إشراقة يومي ..حبيبتي ...زوجتي ووالدة آدم ورحيق ...بالمناسبة سميّت ابنتي على اسم جدتي ...

وفي وقت قصة ما بعد الغداء ...هكذا اعتادت نور أن تفعل للصغيرين...لكنها ذهبت برفقة والدتها وأنا من وقعت بتلك الورطة !...وجدتني أترأس ذلك الموقع العظيم بالنسبة للطفلين اللذين يحدقان بي بلهفة !..

ابتسمت وقد وجدت الحيلة!..... وجدتني وببساطة احكي لهم قصة " الجميلة والوحش "!

تلك الجميلة التي وقعت بين يدي ذلك الوحش العاشق النادم ..لتغير حياته ...لتنتشل كل شر ..كل وحشية ..كل حزن قد اعتلاه يوما ...لتقود القارب ..وتغير بلحظة الوجهة !

..فقد تحارب الموج لتنشد النجاة ...وقد تكون النجاة في لحظة ...بنظرة عين !

عندما تُبعث الجنود!

عندما يغادرنا الأمل ...تعتم كل الطرق ...نستشعر فقدان كل شيء حتى قبل فقدانه ... نركد في مواقعنا منتظرين الموت ...انتهاء كل شيء ..وفقط !

نمقط كل شيء وشعورنا بالعجز لا يمكن لشيء أن ينهيه ...شعور أنك تراجعت خطوتين بعدما تقدمت تلك الخطوة بصعوبة ...شعور أنك سقطت ولا تريد النهوض.....فلا أنت تكمل الطريق ولا تستطيع إنهائه !...

هكذا كان الطفل ذو الخامسة عشر مستلقٍ ...مستسلم لكل شيء ومستعد لأي شيء ...مغمض العينين ومغلق القلب ...أنفاسه تحافظ على بقاء روحه في ذلك الجسد الذي بات ينهكه....

لا يستطيع أن يحاور من حوله ... يشعر بأنفاس تجاور من حين لآخر ...وأقدام تغدوا وتأتي ...وهو على حاله ...

يعلم أن مرضه ميؤوس منه ....هو لن يشفى ...فقط يستلقي منتظرا اللحظة التي سيغادر بها ...لا يعلم إن كان الجميع سيحزن أم لا ...هو لا يعلم سوى أنه أصبح عناء كل من حوله...والدته التي ينفطر قلبها على حاله ولا تستطيع أن تراه ... اشتاق إليها ولا يستطيع أن يخبرها ..أم والده الذي أنفق تقريبا كل ما يملك لعلاجه ...لكن دون جدوى ...

أشقاؤه الصغار وضجرهم من مكوثهم بجواره ...

يبتلع غصته عندما يستمع إلى نحيب أمه تارة وصراخ والده الذي أصبحت أعصابه تالفة تارة أخرى....

أصبح الحزن يملأ أركان المنزل وهو ...هو المتسبب بكل شيء ..

لا يملك سوى بكاء خافت لا ينال منه سوى عبرات يشعر برطوبتها عندما تلمس أذنه ...

وتلك الليلة دلف أحدهم للغرفة ...وضع أحدهم شيئا على صدره ...بارد للغاية ...كبرودة سماعات الطبيب ....علم أنه أتى

وكالعادة يصطحب أباه للخارج كي لا تسترق مسامعه شيء ...

خرج ليخبر والده حينها بنبرة أسفة أن حجم التورم برأسه بدأ يزيد ...وأخبرهم أيضا أن يتقبلوا موته في أية لحظة ..

وهكذا أصبح الكل يدلف لغرفته يترقب اللحظة التي سيلفظ فيها أنفاسه الأخيرة ...

سمع خطوات أبيه تبتعد ...ليدلف أحد إخوانه الصغار بتأفف فرغما عنه ابتسم .. ورغما عنه لم يستطع كبح عبراته..

شعور بالإنهاك سيطر عليه حينها ...نعاس طرق أبواب جفنيه بعد غياب عدة ليال تملأ اليأس والبؤس كل خلاياه ...

كان أخيه الصغير يراقبه بضجر ...فمتى سيخلصهم ذلك الراكد من هذا العذاب ؟

كان بيتا قرويا بسيطا والغرفة كانت بسقف من سعف النخيل وبعض الأتربة..

وشتت الصمت صراخ الطفل الهالع.. عندما وجد عقربا ينسدل بخطوات متلاحقة ...باتجاه هذا النائم !

فماذا لو لدغته وسممته وكانت هي راحته وراحة كل المنزل ؟

تركها تقترب من أخيه ووقف بعيدا ...يترقب موته!

اقتربت تللك السامة ...

سقطت ولسعات في جوانب عدة من رأسه تبعها شعوره بدغدغة ...تبعها خروج سائل ...وبعدها فقد الشعور...

بكى أخيه بصوت مكتوم ولم يستطع التحمل وصرخاته استنجدت بكل من كان في البيت ...ليتوقف الجميع ذاهلين والهلع يسيطر عليهم ...

لدغته العقربة بعدة مواقع في رأسه ...خرج منها كل السوائل...كل الدماء ...كل ما كان يعتليه من ألم ...

لتنتهي مما طُلب منها ... وتعود محل أدراجها مرة أخرى ...أتى الطبيب والكل ينتظر نبأ وفاته بأسى ... ليصرخ الطبيب بذعر " ماذا فعلتم ليشفي من ذلك المرض؟ ...ماذا فعلتم ليعود كما لو كان لم يكن به شيئا ؟"!

****

وهكذا ببساطة ....

كنت رغم إيماني بأن الله لم يخلقني لأتألم ...إلا أن اليأس والخمول كانا يسيطران علي ...وكنت لا أملك سوى أني أتمتم من حين لآخر بذكره ...كنت أنتظر الموت ففاجئني بحياة جديدة ...استيقظت بعدها وضممت أمي وضمتني هي باكية وعينيها تشيدان بألحان فرحة والسعادة ضجت بكل قريتنا ...

تباريك وتهنئة وأمل شق تلك العتمة التي ظننت أنني غرقت بها لأستقر في اللجة !...في عمق كل ما هو داكن ...لأجد نفسي شققت برحمة الله كل أمواج اليأس لأصعد نحو الحياة ونورها ...وأسبح نحو النجاة !

عرفت بعدها أن الدنيا وحشية ...ومهما خذلك الجميع ...مهما مررت بتلك اللحظات من خذلان ... مهما توقفت للحظات لتجد أنك وحيد ...لتدرك أن لا أحد بجوارك ..يساندك ...ستعود كقوة عهدك السابق ...فقط إن استعنت به ...إن صدقت أنه لن يخذلك ...ٍتجد جنودا ...جنودا لم تكن لتتوقعهم وسيأتون من حيث لا تدري ...سيحميك ...وسيقويك ..ٍسيعينك ...حاشاه أن يخذلك كما لم يخذلني ...

أصبحت منذ تلك الوقت لا أهاب أشخاص ...ولا أمراض ولا مستقبل ..أصبحت لا أخشى حياة يمتلكها ربي... حتما إن وقعت بضيق فسينير الدروب الحالكة...

...عندما يَبعث جنوده!

قبيحة في .....

غاية الجمال!

للعينين رؤية ...وللقلب رؤية أخرى ...!

عالم زائف! ...يظهر بهيكل غاية في الأناقة فتحسب قواعده قوية ...وهو يترسخ على هشيم !

...قواعده مهشمة...ستتهاوى كقطعة كعكة فتصبح هباء مع الريح!

...عالم لا يكترث سوى للمظاهر ففقد مبادئه ...بقصد!...

رسخ معتقداته على باطل فهرب الحق وحمل حقائبه بعيدا عنه ...

أكتب كلماتي تلك وأنا فاقدة لكل شعور قد أحسسته يوما ..!

أكتب وأنا أعلم أنني أصبحت على حافة الهاوية ...ورغما عني توجب عليّ السقوط!

.أكتبها بكل كره قد تتخيله يوما لكل شخصا ألقى كلمة أدمتني يوما لأمر لم يكن بيدي ...!

لخطأ لم أرتكبه !

ألقي أحرفي تلك بأعين كل من اعتقد أن جرح الآخرين قوة !

لكل قلب قبيح ...!

كأي فتاة فقدت شيئا ...وتلام على فقدانه رغم أنها لم تملكه يوما ...فتزداد حسرتها فوق الحسرة ...ويزداد الوجع فوق ما تعانيه ...لتكره الوجود أكثر مما تمقته ...!

أتذكر تلك الأيام جيدا ...أتذكر ذلك المنزل ذو الأركان المظلمة والقلوب المعتمة ...أتذكر ما عايشته لحظة بلحظة ...

تمنيت أن أعيش طفولة سعيدة ...لكن طفلة قبيحة مثلي لا أظن أنها ستعايش سوى الألم ..!

أمي امرأة جميلة جدا تتميز بعينيها العسليتين وخصلاتها الشقراء الحريرية وبشرة بيضاء تحسدها نسوة عائلاتنا عليها ...أختي التي تصغرني بأعوام تمتلك بشرة حنطية ورثتها عن أبي وعينين سوداويتين جميلتين والكل يمدح ما تملك من قسمات تهديها إطلالة مميزة ...

أما أنا ....

قد شبهت عمتي ...شعري بني مجعد ...أمتلك عينين صغيرتين وأنف كبير إلى حد ما وشفتين غليظتين ...

كانت عمتي دوما بعيدة وحيدة فكنت أظنها لا تهوى الاجتماعات العائلية ...حتى كبرت وعرفت الحقيقة لأنها ببساطة غادرت حياة سلمتني فيها دورها !

كنت صغيرة على أن أعي مشاعر من حولي ...و سبب حنق أمي عليّ أكثر الوقت الذي أقضيه معها ...

كانت دوما تمسك خصلات شعري بتقزز ...وتأمرني أن أخبأه إذا أتانا ضيوف ...

وعندما بدأت في بلوغ أشدّي ...كانت تصيح بي دوما بأن أضع مستحضرات التجميل كي أبدوا مقبولة بعض الشيء !

وفي المقابل كانت المداعبة والحب والثناء كله لشقيقتي ...فرغما عني كرهتها !

كانت تتعدى أمي حدود حنقها للشعور بالخزي مني ...فعندما بلغت الخامسة عشر كانت تحجبني بعيدا عن كل ضيف يأتي لنا ...!

كنت أظل حبيسة جدران غرفتي أبكِ بصمت وأنيني يحرق روحي وألم قوي كان يغزو أعلى صدري الأيسر!

ورغما من كل هذا كنتُ أحصل على درجات مرتفعة في دراستي وبعد عدة سنوات التحقت بكلية الطب ....

جانب ما بي كان سعيدا ...سعادة لم ألمحها بصدق في عيني أحد من حولي ...

لم يكن لي صديقات كثر ...لكنني كنت على معرفة بالعديد من الأشخاص ...

وقد كانت لي صديقة ...كانت دوما معي ترى انكساري وحزني وفيض عيناي فكانت تساندي ....تخبرني أن الجمال ليس جمال المظهر ...وأن روحي جميلة وتعكس هذا على مظهري لذا فهناك كثير يحبونني بغض النظر عن أمي وأقاربي ...

لكنني لم أؤمن يوما أنني جميلة ...لا مظهرا ولا روحا ...

دائما ما كنت أخشى التجمعات وأنصرف عند قدوم أحد يعرفني ...كنتُ دوما أسير منكسة الرأس وكأنني أخاف من أن يراني أحد !

لم تكن كلمات المديح في عملي الذي اكتشفت أنه الشي الوحيد الذي أكون فيه على طبيعتي ...

صحيح أنني كنتُ أُعالج جراح الآخرين لكنني لم يسعني يوما أن أتفقد جرحي!!

كانت دوما كلمات أمي عالقة بقلبي ....شعور أنني قبيحة دميمة مدفون بأعماقي ..

حتى جاء ذلك اليوم ....الذي أحبني أحدهم!

كان لي زميل في المشفى يصاحبني لأي عيادة أذهب إليها لأنه ببساطة كان أستاذي!!

كان يراقب شغفي في العمل وسعادتي الخاصة ...واحتضاني للمرضى وحنوي ....

والكثير مما لم أكن أراه يوما بنفسي !

وكان يتعجب في انعدام قدرتي على الاتصال البصري فظن أنه خجل إلا أنه لم يكن معه فقط ...بل كان مع الجميع وخاصة مع جنسي ...مع النساء!!

وكل شيء اختلف ...عندما فقط قرر مصارحتي!

عندما كنتُ على وشك الرحيل بعد انتهاء فترة دوامي المسائية...وجدته في الخارج ينتظرني!

فور رؤيتي له نكستُ رأسي وهممت بالمغادرة حتى استوقفني ليقترب مني قائلا..

_" دكتور، أمل ...هل لي من فضلك بدقيقة من وقتك!"

تلعثمت قائلة بخجل "بالطبع، أستاذي !"

_" وسأكون ممتنا لو أعرتني اهتمام عينيك!"

تفاجأت!....رفعت عيني وحررتهما من قيد النظر محل قدماي ...لتجفلني ابتسامته" لماذا دوما تخفيهما ؟...!"

عدت لانتكاستي لكن تلك المرة بألم!...هل يسخر مني ؟!

كدت أغادر لكنه استوقفني مجددا ...

_" لا أعلم السبب ...لكنني أردت أن أخبرك أنه مهما يكن ...فطبيبة مثلك ناجحة والجميع يحبها يجب ان تمضي مرفوعة الرأس دائما!"

هل تلك الأحرف لي؟....هل أنا حقا استمعت إليها أم أنه حلم!!

بعينين دامعتين التفت له لأرى الصدمة بعينيه ...صدمة تبعتها ابتسامة شقت ثغره برضا ...

لتهلع نبضات قلبي كما هلعت خطواتي بعد أحرفه ...

" أريد تلك الحيوية دوما أن تسكنك ...وأريد أيضا أن آتي لزيارة بيتكم في أسرع وقت ...أريدك ،أمل !"

وكانت أول مرة أرى تلك النظرات ...ويخصني أحدهم بذلك الهمس ...وأول مرة أشعر فيها بهذا الشعور !

هربت بعدها بعيدا وكلي وجع ...صوت بي يخبرني عن صدق مطلبه ...وصوت يلطمني بقسوة حقيقتي التي أعلمها والتي لم تتغير يوما !...ماذا لو كان يستهزأ بي ؟...كيف لشخص أن يختار دميمة مثلي دونا عن كل تلك الفتيات الجميلات والتي يتعمدن إبراز مفاتنهن !!

فتكت تلك التساؤلات بي ...وتغيبت عن العمل بعدها ثلاثة أيام ....

لا أجيب على الاتصالات ...منعزلة أتناول بعض اللقيمات التي تبقيني على قيد الحياة فقط!

وطُرق الباب!!

رحتُ أفتح الباب لتسقط نبضاتي محل قدماي عندما أتبين أنه أمامي ...أستاذي أمامي مع بضعة أشخاص وزي رسمي ...وأزهار !

وصدمة أمي وفرحها لم يكن له مثيل ...وزاد ألمي حين فرحت!...لأنها كانت تعلم أنني ميؤوس من تزويجي !!

أهذا النجاح وهل تلك المكانة بنظرها ؟؟

شعرت بنفس المكان تغزوه الآلام بل وتزداد حدة مع كل ليلة !!

طلبني من والدي ...أخبر كل العائلة عن مدى حبه وإعجابه بي الذي كان يكنه دوما في قلبه ...

حتى حان وقت الإفصاح عنه!

كل الجلوس كانوا في ذهول ...حتى والدته كانت لديها رأفة وحب لم أره يوما بحياتي ...

أحبتني بسرعة وأخبرتني دوما أن أعتبرها والدتي ...وكنت بحاجة لهذا ...كنت بحاجة له كثيرا !!

وافقت عليه ...أحببته ...تزوجت به ...

دوما ما كان يسندني ...كلما لمح بي ضعفا تعمد تحويله لقوة ...وكان يضم كتفي له يبث بداخلي طمأنينة افتقدتها ...بل لم أنالها قط!

سألني ذات يوم عن السبب في ابتعادي عن التجمعات والناس ...ولأن الحب يستلزم الصدق

أخبرته!

أخبرته أنني أمقط نفسي ...أنني لا أجدني ذات قيمة !...أنني أخجل من أن أظهر للناس!

وضم أناملي!

مسح بأنامله عبراتي المنزلقة ليقول بخفوت " لم تخلقي لتعجبي من حولك ...بل خُلقتي لرسالة أعظم ...وأنتِ أساسا تعملين عليها ....جمالك ينبع من روحك ...ربما الجمال الخارجي له سحر على العين ...لكن عندما تُسحر الروح بروح أخرى ...فصدقيني لن تبالي بالهيئة وتلك التفاصيل الزائفة ...الجسد سيبلى في النهاية والروح سترتقي!"

ومنذ ذلك الوقت وقد انتشلت من داخلي كل كلمة عالقة تمنع جرحي من الالتئام....لأضمده

بعشقي لكوني أنا ...لكوني قد بدأت أفهم نفسي ...!

أستوعبها ...وأعطيها قدرها الذي تستحقه ...

انتقلت للعيش مع زوجي الحبيب ...ابتعدت عن كل من كان لا يعرف قيمتي ...وأسست حياة جديدة ...حياة يملأها الحب

تفوح منها السعادة والثقة بأنني ناجحة وأستحق التقدير والامتنان لنفسي قبل طلبه من أحدهم!

مرت السنوات ...وازداد نجاحي ...وأنجبت صغيرتي "رحيق" ...ثمرة حبي الصغيرة...

وتغيّر زوجي...

تغير ولم يعد كسابق عهده ...أصبح يعود للبيت متأخرا ....قطع عادة الجلوس معي في منتصف الليل في شرفة غرفتنا ...وأصبحت علاقتنا تتباعد شيئا فشيئا

وكنت أتحمل ...أتحمل لأن الحب الذي أكنه له بين ضلوعي وبجنبات روحي كان دوما يغفر له !

ويوما عاد للبيت ليس غاضبا ...ليس حانقا أو متأففا ...بل سكيرا !!

وهنا هلعت وأبعدت الصغيرة المسكينة عن مرمى جسده المترنح ...

لأخبره بلوم وأنا أبك وقد كنت أحاول إسناده "لما تفعل هذا بنفسك!"

قال بحمق سكير كريه " لأنني ما عدتُ أطيق واحدة مثلك !...أكره اقترابك مني والنظر لملامحك!"

عاد الألم بانقباضه كادت تقتنص أنفاسي ...

وفي الصباح اعتذر مني سريعا وقبّل رأس ابنته ...حتى أنه لم يتأكد من مسامحتي له !

ومرة أخرى غفرت ...غفرت رغم تألمي ....فالسكير يقول ما لا يدرك !

حتى تأكدت لي كلّ ظنوني ليلا ...عندما كدت أن أخلد للنوم وسمعت صوته في طريقي للمطبخ ...

" أرجوك لا تخبريها بعلاقتي معك ...تعلمين أن صغيرتي لا تستحق أن تعلم بعلاقتي بواحدة غير أمها ...!"

وعندما واجهته ...أخبرني أنني لا اجتهد ان أكون جميلة أمامه !...أنه لا يجد أنني أبذل مجهودا في إرضاء رغبته كرجل!

حينها ضحكت بين تساؤلات عينيه ...وجدت الضحك يملئني ...حتى تحول لبكاء مرير..

" أين تلك الثقة التي زرعتها بداخلي؟...أين ذلك الحب في عينيك الذي ظننت أنه لن ينتهي !...أتبرر فعلتك بهذا حقا!...أتبرر زناكَ بعدم رضاك عن ملامحي أو بتقصيري !...كان من الممكن أن تعاتبني ...كنتُ سأصلح كل شيء !...لماذا تكسرني الآن بعد كل تلك الجروح التي ضمدتها بعناية!؟...لما تفتحها بسكين الآن ؟...أنا أحببتك...أهديتك نفسي الممزقة وأمنتك عليها ... !"

وبعدها لم أشعر بنفسي سوى في سرير المشفى ...وتشخيص بمرض القلب بات سيصاحبني مدى الحياة ...لما؟...لأنني أعرت البشر اهتماما أكثر مما ينبغي!!

عرفت من الممرضة أن زوجي ذهب يحضر بعض الأدوية ...وقد كنتُ تحسنت قليلا ..التقطت حقيبتي واحتضنت بين راحتي يدي صغيرتي ...تركت رسالة ورائي ... ورحلت ...!

****

" في البداية كنتُ أظن أن العيب بي ...أنني لا أستحق الحب ولا الرعاية ولا حتى الاهتمام لوجودي ...زرعتم بي منذ الصغر أنني لا أستحق حياة لم تهدوني إياها !...لقد أهداني العظيم دورا في تلك الحياة لو لم أستحقه لما كان أوجدني!!...ترعرعت بمقط لا مثيل له لنفسي ...وألم كنت أكبته بداخلي ...وكان يقتنص من عمري عمرا!...وأقول اليوم أنني نادمة ...نادمة لأنني أضعت حياتي في الاستماع للآخرين ولم أستمع يوما لي ...لذلك الصوت بداخلي الذي يخبرني أنني يجب ان أكون سعيدة ...أن أحب نفسي وأهديها أجلّ التقدير ...وقسماتي لم تكن يوما قبحا ...بل اختلاف ...وهذا مميز !...سأبتعد عنك ، زوجي ...سأبتعد عن الجميع حتى أستجمع نفسي...وأتمنى أن تكون على أتم الاستعداد ...لأنني قررت أن أنفصل عنك ...بل عن كل من لم يقدر حبي له !"

بعدها عشت حياة مختلفة تمام...واكتفت العديد من الأسباب التي تستحق أن أكون سعيدة من أجلها

أصبحت رحيق فتاة جميلة ...رسخت بداخلها قواعد متينة ...

أخبرتها أن لا تسمح لأحدهم بهدمها مهما حصل...

عرفت أن القبح أعظم بكثير من قسمات لا تروق لتملك المقلتين....

علمت أن معاني القبح أعظم من ملابس لا تليق بأحدهم... !

من شعر أشعث...من عينين داكنتين!

عرفت الآن فقط أن قمة البلاء في قلب قبيح...

قلب يجد اللذة بإدماء غيره...

قلب تنسجم أوتاره بلحن معتم وحشي مخيف!...

قلب فقد جمال روح فزين لنفسه بالمرآة جمالا قبيح!

علمت الآن أن قبحي لطالما كان جمالا.. .

عرفت أن الاختلاف ليس فقط بالجمال ...

فقد تكونين قبيحة بأعينهم. ..لكنك في الحقيقة.....

في غاية الجمال :)

قوة نادرة!

فكّرت يوما في معنى العفو ...في ذلك الشعور الذي يحمل بظاهره بساطة لا تتوافق إطلاقا مع عمق إحساسه وإجهاده للنفس !!...فمثلا نحن نأمل عفوا وتسامحا لحظة ارتكابنا الأخطاء ...تلك الأخطاء التي بدورنا قد نعجز عن العفو عنها فقط لو تبدلت الأدوار !!...

وكامرأة تعشق علم النفس وتحليل الشخصيات ...فشخصية مثلي على قدر تحملها للأذية إلا أن العفو لم يكن من غرائزها مطلقا !

ككل فتاة كنت أنتظر اليوم الموعود ....ذلك اليوم وتلك اللحظة التي سيختطفني بها فارس أحلامي على حصانه لنحلق بعيدا ...أتى الفارس مع حصانه ...وسقطت أنا بدلا من أن أحلق!!

أنهيت دراستي الثانوية ولم أتطلع أبدا للاستمرار ...فقد كنت أكره الدراسة والاستيقاظ مبكرا !

وكان هناك مبدأ غريب قد كنت أؤمن به رغم واقعية جزء منه ..."لماذا سأعمل ونهاية مصيري بيت وزوج وأطفال!"!

أب وأمي كانا زوجان بسيطان بطيبة وسماحة كبيرة ... أتى زوجي لخطبتي ففرحت بتلك الزيجة التي حدثت بعائلتنا ..فقد كنت أول فتاة تتزوج في عائلتنا!

كان رجلا لطيفا في بداية العلاقة ...بشوش نوعا ما ...وأهله أناس لطيفون ...وأمه مريبة!

في فترة خطوبتنا لم يكن يتطلع لرؤيتي كثيرا كما كنت أتصور عن فترة الخطوبة ومشاعر العشاق في تلك الفترة ...!

كان يتحجج بأمه وبحزنها حين يتركها ...كان يخبرني أنه يريد إرضائها و وصلها دوما ...وجانب مني كان فخورا به وجانب صغير كان يصدر صوتا وكنت أتعمد إسكاته!

شهرين ...سنة ....وأصبحت بليلة زوجته ...قضيت ليلة من أمتع ليال حياتي ...تسامرنا سويا حتى المساء ...وكانت أطول ساعات قضيتها معه والتمس دفء حبه ...!

وعرفت حينها أني أحببته ...أنني وببساطة أحسنت الاختيار ...ولم أعلم أنها كانت بداية ...بداية أخرى لم أكن أتوقعها ولم تتصورها مخيلتي !

في اليوم التالي وجدت أمه عندنا ...وكانت أول مرة أتعامل معها عن قرب ولفترة طويلة ...

كانت نظراتها لي غريبة ...تأسرني بسهام حاقدة لا تفسير لها ...وتلومني على كل صغيرة وكبيرة تحدث !...تريد أصغر ثغر لتوقع بيني وبين ابنها !

كانت تعيب شكلي ...تتقزز من طعامي وتمقط كل مكان أشاركها معها به !!

وكنت أشعر دوما أنها صادقة ...للأسف لم تكن لدي تلك الثقة والقوة على مواجهتها والدفاع عن نفسي ... نفسي التي لم ترتكب إثما بحقها !

بدت الحياة أكثر صعوبة ...وبدت الألوان الزاهية لحياتي معه تتلاشى ...خصوصا عندما كان يسايرها ...

كنت أجيد الطهي وأعمال المنزل وكان هو يحضر كل عائلته بشكل شبه يومي ... ويأمرني بإطعام كل الحضور ...وكنت أصمت!

كانت والدته تبيت معنا أكثر أيام الأسبوع ...وتوقظني من سريري مبكرا لأحضر لها طعام الفطور خاصتها ...وآخذ ثيابها لأغسلها ...

كانت تحاول معاملتي تعاملا حسنا أثناء وجود زوجي ...وتلقي بفظاظة لسانها على مسامعي حين تنفرد بي!

كانت دوما تزرع بي قلة حيلتي وافتقاري لقيمتي ...وبيع أهلي لي لا يدل سوى على رخصي!

كنت دوما أخشى أن أخبر أهلي وأثير الحزن في قلوبهم ...فكنت أبك وحدي في الخلاء!

أترك العنان لعبرات قهري تحت ستار الليل ...

تدهورت حالتي النفسية خلال أول شهرين من زفافي !..وتدمرت صورة الفارس والجواد ..صورة تلك الحياة التي كنت دوما أتطلع لها !

شعر زوجي بهذا في الآونة الأخيرة فقرر أن نسافر أنا وهو ...وبكت هي ...بل وأصرت أن تأتي معنا ...ووافق على ذلك !...وبدوري لم أعترض رغم ضيقي الشديد !

وقد كانت أسوء رحلة ذهبت لها بحياتي ...وتعاستي زادت فوق ما كانت عليه ...

شعوري بالقهر والحزن لم يفارقاني للحظة ....وكانت تتشفى بحزني ...

حين ازداد يأسي وغادرتني الفرحة ورحلت عني الابتسامة ...تجبر الفارس عليّ وأصبح قاسيا لدرجة لا تصدق ...وأصبحت هي أكثر سعادة !

كنت لا أشعر بأنه زوجي ولا أنه بقربي ...أعيش ببيتي الذي لم أشعر للحظة أنه ملكي ...

أعيش كزوجة تعامل كجارية رغم دلالها ببيت أهلها منذ أول يوم حُملت على الأيادي!!

كان أبي يلاحظ ألم عيني وأمي تسألني عن سبب غيامه الحزن التي نالت من نضارة خضرة مقلتاي فأصبحت باهتة ..

وكنت دوما ابتلع غصتي وتتردد كلمات أمي بذهني " يجب على الزوجة ألا تخرج صراعات حياتها الزوجية خارج بيتها !"

لكن كل شيء اختلف في ذلك اليوم ...

مرت سنة على زواجي ...كنت أتحمل فيها كل معاناة قد تخطر يوما على مخيلتك ...

تأخرت في الحمل وزاد وضعي الصعب وساءت علاقتي بها أكثر من أي وقت مضى ...

وكنت أتقبل كل شيء أملا في أن تتعدل تلك الأوضاع وأن يستيقظ زوجي يوما من غفلته ويستعيد ذلك الفارس من جديد !!

ومرضت والدتي ...

اضررت ذلك اليوم أن أخرج مبكرا وأتأخر بعد منتصف الليل ...وكان الزوج الحبيب مسافرا فكنت مطمئنة لذلك ...ولم يخطر ببالي أن تأتي الأم وتلمع عينيها بفكرة شيطانية لتفجر أول قنبلة بين ولدها الوحيد وبين كنّتها !!

أخبرته أنني لم أعد حتى الآن وأنها منذ رحيله تلاحظ حالة غريبة بي ...وتسمع صوت الهاتف يرن بكثرة .....وصوتي يتحول لهمس خافت حين أجيب !!

وعندما وصلت وجدته أمامي ...وكانت حالة أمي تدهورت وحجزت في المشفى ...

وكنت على شفا بكاء ...وحين اقتربت منه أطلب احتواء بين ذراعيه ...لطخت يداه وجنتاي ...

تفاجأت ...ومن هول صدمتي لم أبك ...لم أعلم سبب غضبه حتى حين خروج أحرفه الغاضبة

ولمعة النصر بعينيها المتشفية التي تحدقان بي ...فعرفت سبب هيجه!

حينها بكيت ...وجدت أنيني يعلو ...وانفجرت ...صرخت بكل تلك الليالي الماضية ...

والمصيبة أنه تفاجأ من ردة فعلي التي من الواضح أنه لم يتوقعها ...فبالطبع كان يود أن أؤثر الصمت والانسحاب ككل مرة ...لكن يكفي !

يكفي لكل تلك الليالي التي شعرت بوحدة اكتسحت روحي ...لكل لحظة ضعف تعلقت بها بعيني به منتظرة إنصافه لي !!...وقوفه أمام الجميع وتصديه لكل من يريد مسي بحرف جارح!!

فكان هو أصل كل وجع بات بي !!...لم يكلف يوما نفسه حتى على شكري ...ولم أكن أنتظر منه ...

صحيح أنني كنت أفوض لله أمري في كل فعل أفعله معهما ...لكن للنفس حدود ...!!

بعدها غادرت وأخبرت أبي بكل ما حدث ...وقررت أن أجلس ..أن أحادث شخصا لم أفكر للحظة أن استمع له !...تسامرت حينها مع نفسي ...عاتبتها ...أبكيتها ..احتويتها وعانقتها وأقسمت أن لا أسمح لأحد يوما أن يجرحها بعد الآن !!

جاء زوجي بعدها بأسبوعين وكانت أمي قد بدأت بالتعافي ...واعتذر وأتت معه هي تجاهد في إخراج كلمة تطيب بها خاطري... ولم تنجح !!

ووافقت على الرجوع معه رغم توسلات أبي بأن أنفصل عنه ...لكن تلك التي كانت في أحشائي لم تكن تستحق حياة مشتتة كالتي كنت سأبنيها لها !!

وحين علم بحملي استأجر شقة تبعد مسافة كبيرة عن والدته ...فقل اختلاطي بها ...

علمت من إحدى قريبات زوجي أنها كانت تسوِّء من سمعتي أمام العائلة في غيابي ...بل وتقنع زوجي في أن يتركني بلا طلاق في بيت زوجي ويذهب ليتزوج بأخرى ليثير جنوني وحزني !

وسأعود معه كذليلة !!

وكنت أردد " فوضت أمري إليك!"...كنت أهمس بها كلما ضاق بصدري الحنق لأترك تلك الاحرف بين أحضان السماء ..وأغفو بسلام!

وبعد عدة أشهر أنجبت فتاة صغيرة سميتها " أمل!"...

وكان كرهها لصغيرتي لم يختلف كثيرا عن مقطها لي ...كانت تحرض زوجي على ضربها !

كانت دوما تلومه على وجوده معنا ودلاله لابنته !...ولم أكن قادرة على تفسير هوية ما بداخل قلبها !...كيف لها أن تعيش بكل هذا الحقد والكره؟!

كيف لها أن تكره صغيرة ..كيف لها أن تنبذ حفيدتها !!...مرت السنوات واقترب مني كثيرا وكانت ثمرة زواجنا تلك الصغيرة التي غيرت به أشياء كثيرة لم يكن يفهمها ...

ولم تفهمها هي قط ...ولم تتوانى يوما عن أذيتي أو الحصول على أقرب فرص لترى المناوشات الحادة بيني وبين والد ابنتي !...

وكنت أحرص على أن لا يحدث هذا ...أصبحت أكثر نضجا مع مرور السنوات والتحقت بالعديد من المراكز الثقافية ...وكنت أدس بصغيرتي كل معنى للثقة والحب والعطاء و...الصبر!

وبعد مرور خمس سنوات كنت أتحاشاها ولا أحدثها بها ...وأخبرت زوجي أنني تحملت الكثير وليس بمقدوري تحمل المزيد!

ويوما ما وجدتها يدلف للبيت والدموع تبلل أهدابه وتغرق وجنتيه ...والدته مريضة !!

كانت تتمتع بصحة جيدة ...بل وكانت تتخطى كل مرض تتعرض له بسهولة!!...حتى أننا لم نكن نصدق أخبار مرضها من حين لآخر ...لكن تلك المرة كانت مختلفة ...

مختلفة عن أي مرة سابقة ...

كان كل من يذهب إليها يعود بقلب متألم ...وترددت أنا !!

كنت على حيرة لا أحسد عليها ...رغم الجانب المتألم منها الذي يصرخ إلى الآن ..إلا أن صوتا ما بي أخبرني بن أذهب ...خصوصا عندما سمعت أن حالتها تدهورت كثيرا !

ذهبت برفقة زوجي ووقف هو عند الباب ..ودلفت أنا ...لتقشعر كل خلجة بي!

لينقبض قلبي وأضم كفاي شاهقة من منظرها ...لم تكن بها روح ...تنغرز بها عدة أسلاك ومحاليل ...وهي راقدة لا حيلة لها ...عينيها زائغتين وتئن بصمت !!

وجدتني أسرع جاثية عندها ...وعندما التفتت بعينيها لتراني ...زاد نحيبها ..

وبأنامل مرتجفة ...

تشبثت بيدي ... تصرخ تحاول إخباري شيء ولكن جهاز التنفس الاصطناعي كان يحجب أحرفها ...

بأنامل مرتجفة ...

كانت تربت على يدي تبكي بحرقة وتميل برأسها ...عينيها ترتجفان وكل ألم الدنيا بهما !!

بأنامل مرتجفة ...

كانت تطلب عفو كل ما مضى ...تود فقط أخباري أنها نادمة وتيه حدقتيها كافٍ!

أمسكتُ يديها أخبرها أنّي هنا ....أنّي أسامحها ...أنني لن أتركها !

وأنينها كان يزيد فيض قلبي ألما .....

ورحلت ...رحلت ولم أستطع للحظة أن أوقف سيل عبراتي عليها ...

كانت أحرفي التي أستودعها أحضان السماء تريحني وتنزل كلعنة عليها في كل ليلة كنت أرددها !

دعوت اللّه أن يغفر لها ...أخبرته أنّي أسامحها ...

وكلي خوف ...خوف من أجرح يوما أحدا أو أكون سببا في انكسار وتحطيم قلوب الغير ...

فقد نكون ضعفاء لا حيلة لنا ...لكن هناك جبار يسمع دبيب النملة ويعلم خفايا القلب !!

وتمنيت أنني سامحتها ...أنّي عفوت عنها ...ففي تلك اللحظة التي غادرت بين الأتربة ....أدركت أن الحياة أقصر مما نتوقع ...وأنها لا تستحق أن نحمل كرها أو حقدا لأحد بداخلنا ...

وأن هؤلاء المكثرين من العفو ليسوا ضعفاء ...بل في الحقيقة لديهم قوة نادرة!!

قوة لا تعطى للجميع!!

رويداً....

الحياة جميلة ...حقا الحياة جميلة تسحرنا ...تغيمنا بغيامه تسكرنا عن حقيقة مكرها ...وأنيابها التي تفتك بنا ونحن بالمسكر لا نشعر بانغرازها...حتا تصدمنا ...وحتما حينها ستكون الأنياب اقتنصت أنفاسنا ...لتحملنا من عالم المسكرات لعالم الحياة بلا حياة !...وعندها فقط تظهر القوة ...لأن القوي فقط من سينجو!

كانت تقضي ليال دافئة في بيت والدها ...السعادة ترقص في نواحيه...

والاطمئنان يسكن قلبها ...حياتها جميلة ...أهل ومدرسة وأصدقاء ...

ماذا ستريد أكثر من سعادة داخلية لا تجهد في تجسدها !

لكن الحياة مسكر والمسكر حين تفيق منه ...لكن يكون بوسعك الهروب من الألم !

وتعب الأب ...واضطربت الأجواء ...كانت تبتلع حزنها وترسم البسمة دوما وتتعمد أن تظهر سعادتها فقط كي لا تحزن من حولها ...

وحين كان اليأس يرهق قلبها كانت تكتفي بعبرات صامتة تذرفها بهدوء ...

وكصديقة لها كنتُ أكتفي بضمها ...باحتوائها وبث بعض الأمان لقلبها المرتجف!

وقلبي كان يئن على أنينها ...وما باليد حيلة ...

وشاء اللّه أن يمتحنها ...وواجهت صديقتي حقيقة الموت !!

حينها انكسرت ...رأيت غيامه القهر بعينيها ...

انطفئت وشعرت بسواد الأيام وحلكة ظلامها تضيق على أنفاسها ..

كانت تؤلمني حالتها فكانت فيض دموعنا يختلط سويا حين نتعانق ...

كانت تنهي تلك السنة بقلة حيلة ...وقنوط وحزن لا مثيل له ...وكانت آخر سنة لنا في المدرسة الثانوية ...وقرر اهلها السفر وإبقائها في بيت عمها إلى حين انتهاء تلك السنة ...

******

بعد وداع أليم ...لم يزد القلب إلا معاناة ...معاناة كانت بارعة أيضا في إخفائها !

وبدأ العام الدراسي ...تلك السنة التي لم تزدني منها إلا قربا ...لأكتشف كم هي عظيمة !

في كل مرة كنتُ أنظر إليها ...أرى سعادة وأملا حفرتهما بقسماتها عنادا !

أرى خلف تلك الرقيقة ...هشة المشاعر ...فتاة قوية عرفت وحدها كيف تتخطى كل تلك المصاعب وحدها ...

بل أنها تحولت تماما في تلك السنة من يأس لأمل ...ومن تعثر لتفوق دراسي وشهادات تميز !...

وكانت تخبرني أن أصبر حين أكون في موقف عسير ...ببساطة أصبحت تداوي جراح الآخرين رغم أن جرحها لم يضمد بعد!!

وتارة تحلو الأيام وتارة تجعلها تبكِ ...تجعلها تفيض من الدمع ما يرهق القلب ويدميه ...وكانت تترك أثرا بذكرها ودعائها وصلاتها في أحضان الليل ...كانت تبكِ راجية الله أن يمنحها القوة لتكمل السير ...لتستطيع النهوض وتقاوم ...

كانت ترى استقرار بيت عمها ...حب أطفاله له والأمان الذي افتقدته..

عناقهم له ...وهي لا تحتاج حاليا سوى احتواء ...ضمة تشعرها بسكينة تهدا لهيب داخلها ..

تشعر أنها عبئ ...أنها دوما ليست سوى حمل ثقيل على أكتاف كل من يعاونها ..

وكانت تأتي للمدرسة وعندما تخبرني ...تنتهي آخر جملة لها مع دوي صراخ وبكاء وعناق من كلينا ...وبعدها تصبح بخير !

كانت تساندني ...مساندة لم أرها من أقرب الأشخاص إلي ...

كانت تخبرني أنها تحتاجني ولا تعلم أنني من كنتُ بحاجة إليها ...

كانت قريبة من الجميع وتفتقد قريبا لها ....

انتهت السنة الدراسية بحلوها ومرارة أساها ...وتفرقنا ...

ابتعدت الأجسام ...لكن القلوب ما زالت تذكر محبيها ...وقلبي دوما ما يتذكرها ...

فتارة أحادثها وتارة أدعو لها ...وتارة أخرى أنني أحبها ...

أنها الشخص الوحيد الذي لم يترك ندبة وجع بداخلي ...لم يترك دمعة تفر يوما من جفني ...كنتُ أشكرها سرا وجهرا ...

وكثيرا ما كانت صوتها يتحشرج في الهاتف وكنت أبتلع غصتي فوحدي من أعلم السبب ...وأعلم ما تعايشه في غربتها ...ومشاعرها التي يتم دهسها

وقلبها الذي لا يقدره أحد ...رغم وسعه للعالم بأكمله ...

فأخبرها دوما أنني أحبها ...وأن الأمل سيعود ..وأننا يوما سنحيا!!

.وقبل انتهاء المكالمة نبتسم من بين أوجاعنا متمتمين لحنا قديما اعتدنا الدندنة به سويا بفرحة كنا ننسجها سويا...

" وتهدينا الحياة أضواء في آخر النفق ...

تدعونا كي ننسى ألما عشناه......

نستسلم لكن لا ...ما دمنا أحياء نرزق

ما دام الأمل طريقا فسنحياه ..!"

أثر لن يزول!

يوما شاهدت فيلما عن امرأة كانت عالمة في مجال اللغة والتواصل ولديها العديد من الكتب التي قامت بتأليفها ...لديها من العلم ما كان يرتقي بعقلها ...بعقلها الذي لم تكن تدرك أنها في لحظة يمكن أن تخسره ....بمرض الزهايمر الذي أصابها خسرت كل ما عرفته عن نفسها يوما وليس العلم الذي بنته طيلة سنين فقط!
...وبعدها رحلت ...ليبقى علمها ...مكانتها ...وأثرها ...بُليَ جسدها وارتقت روحها وبقي علمها يحوم بين الناس ...

فماذا لو خيرّتَ يوما في أن تترك أثرا ؟...ماذا ستترك لأمتك ؟؟!

في آخر أيام امتحاناتي الجامعية ...وكسهيلة اعتدت التأخير دوما!

انتفضت على صوتِ المنبه لتجحظ عيني ...فالوقت تأخر !

استقللت أحد عربات الأجرة وأخبرته أن يزيد من سرعته ...وحين كان يمتثل لأمري كادت إحدى المركبات الكبيرة أن تصدمه...وهبط كلا السائقين صارخين ببعضهما ..

ونظرت لساعتي فأيقنت أنني لو انتظرته حتما لن يسعني الوصول في الوقت المحدد!

تركت الأجرة له وهبطت راكضة نحو هدفي...

ودارت الأيام ....وتعاقبت الليالي لأذهب لنفس المكان ....

ويشاء ربي أن أركب مع نفس الشخص !!...والصدمة أنه تذكرني!

" ألستِ المنتقبة التي رأيتها ذلك اليوم؟!"

ابتسمت وأنا أومأ ....فتابع بابتسامة ثابتة ...

" أردت أن أكمل لكِ ما حدث ذلك اليوم لتكون لديك صورة متكاملة عن الحادثة !"

صمتّ ليكمل بتأثر واضح..

"بعد أن هبطتِ..وأكملت طريقتي وجدته يتبعني ويصر على ذلك فثار غضبي وجننتُ وهبطت أصرخ فيه مجددا وهبط بدوره وصدمني ما فعل !...اقترب مني يربت على كتفي ...يتأسف ويعتذر عن فعلته ويخبرني أنه على علم بما كان سيسببه من خسائر لي خصوصا أن الحياة ليست جيدة كثيرا مع شاب مثلي!

وجدتني هدأت تماما ...وابتسامته الحنون وازت أحرف شفتيه التي كانت بمثابة طوق النجاة لي ...دس رقمه بكفي وأخبرني بأنه يحتاج عاملا بشركته وسيوفر لي مرتبا جيدا ...ورحل ...وقررت بعد تفكير محادثته وانتهى لقائتنا بعد عدة أيام بتوظيفي في الشركة ...ومرتب لم أكن يوما أتخيله ...واستقررت في عملي ولاحظت غيابه عدة أيام وحين سمعت خبر وفاته ...انتفض قلبي وثارت عبراتي عليه ...وعاودني حزن وقهر فراق والدي ...التمست فيه ما ذكرني به ...شعرت حينها بألم حرك مشاعري نحو فعل كان يستحقه!...بعد أن حضرت عزائه ...قررت أن أعمل كعمل إضافي على سيارة الأجرة ...والأجرة التي أكسبها ..أخرجها صدقة على روحه

روحه التي تسكن قلوب كل من يعرفه ..!

اغرورقت عيناي ...وفكرت حينها أن الأثر على النفس لا يزول ...سواء كان خيرا أم كان شرا ...بعمل بسيط منه أحيا قلب شاب كان على وشك الركود واليأس من الحياة ...ترك صدقة وأثرا له ينير عتمة وضيق قبره ...فماذا لو بدلنا الآلام التي نزرعها بالأرواح بنسيم ورد السعادة والحب والعطاء ...ماذا لو تركنا ببعضنا أرا طيبا ؟..أثرا مهما بلغ حجمه ...فلن يزول!!

النهاية!

عشرة قصص ينقصها ثلاثة !...لم تتمكن من إكمال باقي ما عزمت على كتابته ...

ربما الأسطر بسيطة ...ربما ليست طويلة كفاية لكنها كانت عظيمة ...عظيمة لدرجة استطاعت بها لمس أشياء خفية بداخلنا ...

في النهاية أعلم أن أنفسكم ستختلف في تفضيل القصص ..كلٌ سيفضل قصة ...قصة تشبه داخله ...أو تشبه ما أراد التعبير عنه يوما ...

لذا فتمتع بكل تلك الأسطر وأعد قراءتها جيدا ....فلربما تصبح ذا مكانة يوما

لتنقذ أحد من أن يكون عنان !...من أن ينتهي مصيره كمصيرها!

أنر جانبك المظلم... من يعلم فقد تستطيع إكمال بقية القصص!!